

مقالات ونقاشات
في اللغة
الدكتور عصام نور الدين
أستاذ العلوم اللغوية بالجامعة اللبنانية
دار الصداقة العربية
بيروت



مقالات ونقاشات في اللغة

تأليف:

الدكتور عصام نور الدين

أستاذ الدراسات العليا في العلوم اللغوية

الجزء الأول



دار الصداقة العربية

بيروت

بيروت لبنان هاتف: ٨٣٦٩٠٤ ص ب ٧١٧١ / ١١٣
الطبعة الأولى ١٩٩٥

المقدمة

هذه «مقالات في اللغة العربية»، سبق أن نُشِرَتْ في غير صحيفة وفي غير مجلة، وقد وافقتُ على نشرها في هذا السِّفر، لأسباب عدّة، منها:

١ ـ أنَّ المقالات كلَّها مقالاتٌ لغوية، أو تلامس القضايا اللغوية، أو تستند إلى القضايا اللغوية من أجل الدّعوة إلى التكلّم بالفصحى، مثلاً، أو من أجل إعادة اعتبار الفصحى لغة العلوم البحتة كما كانت في عهد أجدادنا الذين صانوا الفصحى ونشروها بين الناس في كلّ أقطار المعمورة، أو من أجل إبراز دور الفصحى في ركب الحضارة الإنسانية.. أو من أجل التكلّم على العلاقة بين الفصحى والعامية.. أو من أجل معالجة بعض الحالات اللغوية التي يُخْطِىء فيها كثيرٌ من الأدباء والدارسين.. وأساتذة الجامعات.

٢ ـ أنّ كلّ هذه المقالات المجموعة تدور على محاور ثلاثة، وهي: اللسان العربيّ، والقومية العربية، والإسلام.. هذه العلاقة دفعتني، منذ زمن بعيد، إلى تشبيه العلاقة بين العروبة والإسلام بوجهيّ الورقة الواحدة... فقد يكتبُ الإنسانُ على وجه الورقة الأول ما ينسجم مع ما يكتبُهُ على وجهها الثاني، أو قد يكتبُ ما يخالِفُـهُ أو يناقِضُـهُ أو لا يتصلُ بموضوعه من قريب أو من بعيد... ولكنه لا يستطيعُ أن يُمَزِّقَ الوجهَ الأولَ حتَّى يُمَزِّقَ الوجهَ الثاني..

فالعَلاقة بين العروبة والإسلام علاقةٌ حميمة جداً، وخاصةٌ جداً، ولا توجد مِثْلُ هذه العَلاقة بين أيّ قومية أخرى ودين آخر... وروحُ هذه العَلاقة ـ إذا جاز التعبيرُ ـ هي اللغةُ العربية، لغةُ القومية العربية، ولغة الإسلام.. ويُفْتَرَضُ أن تكون لغةَ المسلمين؛ لأنَّ المُسْلِمَ لا يكونُ مسلماً قرآنياً حقيقياً إلاَّ إذا فَهِمَ اللغةَ العربية، وَأتْقنَهَا إتقاناً تامّاً، واستعملها في دينه كالصّلاة والآذان والزواج... وما إلى ذلك، وفي أمور معاشه.. أوَلَيْسَتِ اللغةُ العربيةُ هي لغة التنزيل الحكيم، ولغة الرسول العربيّ الكريم وآل بيته، ولغة صحبه ومن اتّبعَ هذا الدين إلى يوم الدين؟

هذه قضيةٌ قد تَنَبَّهَ إليها عددٌ من العرب ومن المسلمين من غير العرب، فقال بعضُهُم إنَّ الإشتغال باللغة العربية من الديانة. وقال أحدهم: لئن تهجوني بالعربية أحبُّ إليّ من أن تَمْدَحَني بالفارسية... فتأمل.

٣ ـ أنَّ هذه المقالات اللغوية وإنْ كانت تَبْحَثُ القضايا اللغوية، وتدور على العروبة والإسلام، فإنَّ ما يَجْمَعُهَا هو أنَّ كاتِبَهَا واحدٌ... وهي تُشِيرُ إلى فكر المؤلِّفِ، وإلى نظرته إلى نفسه، وإلى الكون، وإلى اللغة، وإلى العروبة والإسلام.. وأظنُّ أنَّ

هذا من الأسباب التي قد تُبرِّرُ جَمْعَ هذه المقالات في كتابٍ واحد، على الرّغم من الرحلة الزمنية التي تَفْصُلُ بينها.. وعلى الرّغم من اختلاف الموضوعات في الشكل دون المضمون.

٤ ـ أنّ هذه المقالات قد أبْقِيَتْ هنا كما نُشِرَت أوّلَ مرة.. وقد أشَرْتُ إلى المجلة أو الصحيفة التي نُشِرَ بها هذا المقال أو ذاك.. وأشرتُ إلى التاريخ وإلى رقم الصفحة.. ولم نتدخل إلاّ في تصحيح الأخطاء المطبعية.. وتركنا النصوصَ كما هي، في الأغلب الأعمّ، على الرغم من تطور تفكيرنا في بعض القضايا المطروحة.

٥ ـ أنّ معظم المقالات خالية من المصادر والمراجع، لأنها نشرت أساساً مقالاتٍ، ولأنّها كُتِبَتْ كي يَقْرَأَهَا أكبرُ عددٍ ممكن من الناس غير المتخصصين.. ولأنّ الهدف منها لم يكن إلاّ تعميم الفائدة.. وكاتبُ المقالة ليس مجبراً على ذكر مصادر مقالته...

٦ ـ أنّ المنهج المعتمد في كتابه هذه المقالات مركبٌ؛

فهو تارة لغويٌّ وصفيٌّ (سَانكرونيّ)، ينظرُ إلى اللغة في ذاتها ولذاتها دون أيِّ هدف آخر، ويصفُ الحالاتِ اللغويةَ وصفاً صوتياً أو صرفياً أو تركيبياً أو أسلوبياً أو دلالياً...

وهو تارة ثانية يمزجُ النظرةَ الوصفيةَ الموضوعيةَ بالنظرة الذاتيةِ أو الفِكْريّة (الأيديولوجية) عندما يَتَعَلَّقُ الأمرُ بالقضايا التي تَتَطَلَّبُ موقفاً وطنياً أو قوميّاً أو دينيّاً إسلاميّاً أو إنسانيّاً..

٧ ـ أنّ ممّا يُبَرِّرُ إعادة نشر هذه المقالات في كتاب واحد هو رغبَتُنا في نشرها بين جمهور واسع، ومناقشتُهَا، وإبداءُ الرأيّ فيها... لأنَّ منهجنا في الحياة وفي الكتابة هو: «مَنْ يَنْقُدُ عليك هو كَمَنْ يُؤَلِّفُ مَعَكَ» ـ حسب تعبير الشيخ عبدالله العلايلي ـ.. والنَّقْدُ في عرفنا ليس تشهيراً.. وليس حطّاً من قيمة أعمال الآخرين.. وليس بخسِ الناس أشياءها.. إنّما هو وصفُ هذا العمل بإيجابياته وسلبياته، بمنهجه وبمادته، بهدفه وَبِسُبُلِ تحقيق هذا الهدف... ثم إضافة النقص إنْ وجد... والتخلّص من الزوائد التي لا فائدة منها ولا حاجة إنْ وجدت..

وإنّني أهمسُ في أُذُنِ القارىء الكريم سِرّاً من أسراري، وهو أنّ هذه المقالات اللغوية قد تكون أقربَ إلى نفسي وقلبي وعقلي من كثير من الأبحاث الأكاديمية الجافة... وإنني قد وجدتُ متعةً كبيرةً وأنا أعيدُ قراءتها.. بل شعرتُ أنني أقرأها للمرة الأولى، لإنّها جَسَّدَتْ كثيراً من أهدافٍ أصبو إليها سِرّاً وعلانيةَ.. وكشفتْ عَلاقةً مُمَيَّزَةً سرمدية أبدية بين اللغة العربية والعروبة والإسلام.

الدكتور

عصام نورالدين

المقالات المكتوبة

أضواء على
الأبحاث الصوتية العربية[1]

- ١ -

يُشكِّلُ الصوتُ الإنسانيُّ مادة اللغة الأُولى، في الدراسة اللغوية، لأنّ كلّ أمة أو كلّ جماعة لغوية تعتمد منهجاً محدّداً ومُميّزاً في صوغ كلماتها من الأصوات التي ينتجها «الجهاز النطقيُّ» الإنساني، ثم تصوغُ، من الكلمات، الجملَ والتراكيبَ، بغيةَ التعبير، بهذه الأصوات، عن حاجاتها المادية والمعنوية التي لا حصر لها.

إن صوغ الكلمات والجمل والتراكيب يتمُّ وفق عبقرية كلّ أمة، ووفق خصائصها وسننها، ويكونُ ذلك ببلورة الفكرة في ذهن المتكلم أولاً، وفي ذهن السامع أو المتلقيّ ثانياً وفي الوقت نفسه، مما يعني أنّ علم اللغة، أو علم الألسنية لا يفصل بين مستويات اللغة؛ الصوتية، والصرفية، والنحويّة أو التركيبية، والأسلوبية والمعنوية، إلا لهدف مدرسيّ، نلجأ اليه تسهيلاً وتقريباً. . لأننا نظنُّ ظناً قوياً أن الطالبَ المعاصرَ لا يستطيعُ الإحاطة إحاطة كاملة بهذه المستويات، وبمناهجها، وغاياتها، وتقنياتها في الوقت القصير الذي تخصّصه الجامعات العربية لدراسة العلوم اللغوية.

---

(١) مجلة الرؤية البيروتية، السنة الثانية، العدد (١)، كانون الأول ١٩٩١، ص: ٦٦ ـ ٦٧.

وقد تنبّه أجدادُنا، من قبلُ، لمثل ما تنبهنا إليه اليوم، فكانت كُتُبُهُم، أوّلَ الأمر، تدرسُ المستويات اللغوية كلَّها في كتاب واحدٍ، ثم تتطور الأمرُ من بعدُ فألّفوا الكتب المتخصصة في كلّ مستوى من مستويات الدرس اللغوي.

* * *

- ٢ -

تُعْتَبَرُ الدراسةُ الصوتيةُ من آصل العلوم عند العرب، لأنها تتصلُ اتصالاً مباشراً بتلاوة القرآن الكريم، وفهم كلماته وتراكيبه وأسلوبه.. وما يتضمنُ من أحكام دينيّة ودنيوية.

وقد سبق العربُ أمَمَ الأرضِ كلَّها في دراسةٍ لغتهم دراسةً صوتية وصفية أدهشت علماء الشرق والغرب. فأقرّوا بأنه لم يسبق العربَ زمنياً سوى الهنود القدماء الذين درسوا لغتهم «السَّنْسِكْرِيتيَة» Sanscrit، لغة كتابهم المقدس الـ «ڤيدا» Védas ووصفوها وصفاً صوتياً دقيقاً جداً.. وسطع اسمُ علاّمتهم الشهير «بانيني» Panini، الذي شُبِّهَ سيبوبه به فيما بعد.

* * *

- ٣ -

بدأت الدراسةُ الصوتيةُ، عند العرب وصفيةً، تعتمدُ الملاحظة الذاتية، مضافةً إلى فطنة الدارس وثقافته والتزامه وأمانته العلمية، ولا أظنّني أجافي المنطق العلمي ومنهجه إذا ذَكَّرتُ بصنيع أبي الأسود الدؤليّ، المتوفى سنة ٦٩ هجرية، عندما اعتمد الرؤية البصرية المرتكزة على وصف كلمات القرآن الكريم وصفاً صوتياً أسّس، فيما بعد، مع ما أخذ عن إمام النحاة واللغويين «علي بن أبي طالب»، ﷺ الدرسَ اللغويَّ العربيَّ كلّه.

ثم جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي، المتوفى سنة ١٧٥ هجرية، فدرس في مقدّمة معجمه «العين» الصوت اللغوي:

أ ـ مفرداً، معزولاً، ومجرداً عن سياقه، ممّا سَمَح له بترتيب معجمه مستنداً إلى الصوت المعزول المجرّد. . مبتدئاً من «الحَلْق» ومنتهياً بالشفتين، وهذا ما جعله يدرس:

أ ـ أعضاء النطق.

ب ـ تصنيف الأصوات اللغوية إلى أصوات:

ـ صحاح Consonnes

ـ صوائت أو ليّنة Voyelles

ج ـ تصنيف الصوائت على أنها هوائيّة، جوفية.

د ـ تصنيف الأصوات الصحاح حسب:

ـ مخرج الصوت،

ـ صفات النطق،

ـ الجهر والهمس.

٢ ـ ثم درس الخليل بن أحمد الفراهيديّ وظيفةَ الصوت الإنسانيّ اللغويّ عندما يسبقه صوت آخر، أو يتبعه صوت ما. . وكيف يتأثرُ هذا الصوت ويفقد بعض صفاته أو خصائصه التي كان يملكها لحظة كان مفرداً معزولاً ومجرداً، ثم كيف يُغَيِّرُ الصوتُ معنى الكلمة.

٣ ـ وقد استطاع الخليل ـ نتيجة ذكائه وعلمه وأذنه الموسيقية اللّماحة ـ إدراك العلاقة بين الحركات القصار ـ والحركات الطوال، وأدرك أنها علاقة في الكم duration وليست علاقة في الكيف، فجعل:

أ ـ للفتحة ألفاً صغيرة، مضطجعة فوق الحرف.

ب ـ وللكسرة ياءً صغيرة تحت الحرف.

ج ـ وللضمة واواً صغيرة فوق الحرف.

٤ ـ واستطاع الخليل، أيضاً، انطلاقاً من تفكيره الصوتيّ، وتذوقه الأصوات، واهتماماته الصوتية التي مكّنته من تقعيد بحور الشعر والأوزان العَرُوضية والاختلافات الصوتية الدقيقة جداً، أن يضع علامات صوتية منها:

أ ـ الشدة.

ب ـ السكون.

ج ـ همزة القطع.

د ـ همزة الوصل.

٥ ـ أما تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيديّ لأصوات اللغة العربية حسب مخارجها، والذي بنى على أساسه معجمه الشهير.. بل أول معجم وصلنا في اللغة العربية، فهو قوله:

في العربية تسعة وعشرونَ حرفاً، منها:

أ ـ أربعة أحرف جُوف، وهي: الواو والياء والألف اللّينة والهمزة، وسُمّيت جُوفاً لأنها تخرجُ من الجوف، فلا تقعُ في مَدْرَجةٍ من مَدارج اللِّسان. ولا من مدارج الحَلْق، ولا من مدارج اللَّهاة، إنّما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حَيّز تنسب إليه إلا الجَوْف، وكان يقول كثيراً: الألفُ اللّينةُ والياءُ هوائية؛ أي أنها في الهواء.

ب ـ وخمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحْيَازٌ ومَدارج، وقد جعلها في ثمانية مدارج، كما يلي:

١ ـ حروف الحَلْق، أو الحروف الحَلْقية، وهي: العين، والحاء، والهاء، والخاء، والغين.

٢ ـ حرفا اللَّهاة: وهما: القاف والكاف.

٣ ـ حروف شَجْر الفم؛ أي مفرج الفم، وهي الحروف الشّجْرِيّة، وهي: الجيم، والشين، والضاد.

٤ ـ حروف أسلة اللسان؛ وهي مُسْتَدَقُّ طرف اللسان، وهي: الصاد، والسين، والزاي.

٥ ـ حروف النَّطع أو النِّطع، أو الحروف النَّطْعيّة، لأنّ مبدأها من نِطع الغار الأعلى، وهي: الطاء، والدال، والتاء.

٦ ـ حروف اللِّثة، أو الحروف اللِّثَوِيّة، لأنّ مَبْدَأها من اللِّثَة، وهي: الظاء، والثاء، والذال.

٧ ـ حروف ذَلَق اللسان، وهو تحديدُ طَرَفيّ اللسان. ولذلك سُميت الحروف الذَّلَقِيّة، وهي: الراء، واللام، والنون.

٨ ـ حروف الشّفة، أو الحروف الشَّفَوِيّة، أو الشّفهيّة، وهي: الفاء، والباء، والميم.

* * *

ـ ٤ ـ

ثم جاء بعد الخليل بن أحمد الفراهيدي، سيبويه، والمبرّد، والزَّجاجيّ، والزَّمخشريّ، وابن دُريد، وعلماءُ التجويد والقراءات القرآنية، كابن الجزري، وعلماءُ إعجاز القرآن، وعلماء البلاغة كالرّمانيّ، وابن سنان الخفاجيّ، وأبي بكر الباقلانيّ، وعلماءُ النقد كالجاحظ، فَأَسْهَمُوا في دراسةِ الصوت اللغوي، فَوافقوا الخليلَ أو عارضوه معارضة جزئية هنا.. وأخرى هناك.. ثم جاء فارس علم الأصوات، عَنَيتُ ابن جني، المتوفى سنة ٣٩٢ هجرية، فقدّم أدقّ الإساهامات، وأوفرَها نصيباً من العلمية بعد الخليل.. ولن ننسى الشيخَ الرئيسَ الفيلسوف ابن سينا، المتوفى سنة ٤٢٨ هجرية، والذي سدّ ثغرة كبيرة في الدرس الصوتي عند العرب، وقدّم وصفاً دقيقاً لأسباب حدوث الحروف ولمخارجها، وقد يكون ابنُ سينا أوّلَ من شَرَّحَ

الحَنْجَرَةَ الإنسانية، وعرف دورها كـ «مِرنَانٍ»، وعرف دورَ الوترين الصوتيين في إحداث الصوت الإنساني.

ونأمل أن نُسَلِّطَ، في دراسات قادمة، أضواء علمية ساطعة وواضحة على كلّ عالم من هؤلاء العلماء الأفذاذ.

اللغة: أصعوبة أم استغراب؟؟[1]

يعترضني بعض أنصاف المتعلمين، هنا وهناك، ليقولوا لي: «يا دكتور.. النحو العربيّ صعب جداً لا نستطيعُ فهمه»، وقد يضيف الخبثاء منهم قولهم: «النحوُ العربيُّ وضع انطلاقاً من لغة جاهلية تجاوزها الزمن.. ولا بدّ لنا من التفتيش عن نحو جديد معاصر».. ويضيف من يحبُّ «الإستغراب» ويتمناه قوله: «إن الإنسان قد يتقن قواعد اللغة الإنكليزية بسرعة، ويستطيعُ، الى ذلك سبيلا».. وقد يقول لي فريق آخر ما قاله عدوٌّ العربيةِ قاسم أمين: «إن الأوروبي يقرأ لكي يفهم أمَّا نحن فنفهم لكي نقرأ»... الى آخر هذه الإدّعاءات التي تكشف جهلاً أو تجاهلاً، كراهية أو عداء، استغراباً أو تغرباً..

ـ فماذا يقول استاذ اللغة العربية بالجامعة؟..

إنني أبادر الجميع بقولي إنَّ النحو العربيّ هو أسهل نحو عَرَفَتْهُ لغةٌ من اللغات الإنسانية.. وعندما أقول «النحو العربي» فإنني أعني «النحو الأساسيّ» الذي لا تدخل فيه اجتهادات النحاة وفلسفتهم الأمور.. وهذه القواعد، التي ندعوك إليها، تُمَكِّنُ القارىءَ الدارس من فهم اللغة، بل قواعدها، في مدة لا تتجاوزُ المئة يوم. وهي أقصر مدة يمكن لأيِّ متعلم، في أيِّ لغة، أن يقضيها في تعلم قواعد لغة من اللغات.. وهي، كما ترى، أسهل من «قواعد» اللغة الإنكليزية غيرِ الموجودة، والتي قد يقضي الإنكليزيُّ عمرَه في حفظ مئات الكلمات التي لا قاعدة مطردة تضبطها، فالإنكليزية لغة متكلِّمة، بينما اللغة العربية لغة متكلمّة ومكتوبة كتابةً أشبه بالكتابات الصوتية في الوقت نفسه.. فالنطق في اللغة الإنكليزية يختلفُ قليلاً أو كثيراً عن الأصوات المكتوبة فعِلاً.. وخصوصاً في الكلمات الشائعة.. ومع ذلك

---

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثانية، السبت ١٤ رجب ٤١٢ هـ ـ ١٨ كانون الثاني ١٩٩٢، ص: ٤٦.

يُتْقِنُها المتعلمونَ الأجانب بينما يُعْرِضُ أَبناءُ اللغةِ العربية عن دراستها وإتقانها لأنهم اعتادوا خفضَ رؤوسهم أمام الأجانب، واعتادوا التخلي عن ذواتهم أمام بهرجة حضارة الغربي الكاذبة.

ولكي يدخل الإيمانُ الى قلبك، ولكي تضع اصبعك، أيُّها القارىءُ، على صدق ما نقول، فإنّنا ندعوك الى سماع أقوال أبي الأسود الدؤليّ، الذي نفّذ تعاليم الإمام علي بن أبي طالب في وضع النحو العربيّ، وندعوك، أيضاً، الى إعمال فكرك بعد سماع قول من أقواله، لتصل الى درجة اليقين القاطع.. قال أبو الأسود، عندما بدأ بضبط نصوص القرآن الكريم، لكاتبه اللَّقِن:

«إذا رأيتني قد فتحتُ فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه..

«فإن ضممتُ فانقط نقطةً بين يدي الحرف..

«وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف..

فإن أَتبعت شيئاً من ذلك غُنّة فاجعل مكان النقطة نقطتين..»

هذه هي بدايات نحونا، وأنت ترى، أن هذا النحو وصفيٌّ، يعتمد الرؤية البصرية في وصف مظاهر اللغة.. فلا يمكن لهذا النحو إلا أن يكون سهلاً، طيّعاً، يخدم العربية وأهلها، وَيُسْهِمُ في صون كتاب الله في صدور العرب والمسلمين صحيحاً، دون أي تحريف، وإن كانت الغاية من وضع النحو العربي، وعلوم العربية لا تنحصر في حفظ القرآن من اللحن أو التحريف، وإنّما هذا هدف ثانوي من وضع النحو، لأن قُرّاء القرآن كانوا يعتمدون في تعليمه التلقين من فم القارىء الثقة الى أذن السامع المتعلم مباشرة، فلا مجالِ، إذاً، للحن أو للتصحيف، ولأن الله، سبحانه وتعالى، قد بَشّرَ العربَ والمسلمين بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر ١٥/ ٩.. فالهدف الرئيسي الذي دفع المسلمين الى الدرس اللغوي هو فهم النص القرآني لاستخراج الأحكام التي تَنْتَظِمُ حياة المسلمين.

فالنحو العربيُّ لم ينشأ بناء على استقراء لغة جاهلية.. بل بدأ باستقراء

كلام الله في كتابه العزيز، حيث اضطرّ المسلمون الى ملاحظة أصوات الكلمات القرآنية، وبنائها، وتراكيبها، وأسلوبها ومعانيها. . كل أولئك شكّلَ اللبنةَ الأولى في وضع النحو العربي. . أمّا النصوصُ الجاهليةُ فكان علماءُ العلوم الإسلامية يلجأون إليها لفهم عبارات القرآن ولتفسير آياته واستخراج أحكامه. . فهي، إذاً، نصوصٌ ثانوية. . عادت واحتلت مرتبة سامية بعد القرآن الذي أُنزلَ لهداية البشرية، بلغة العرب، التي يتقنونها جيداً، والتي يتفاخرون بإتقانها. ودفعهم هذا الحبّ، وذاك التفاخر، الى نعت لغتهم ـ بـ «اللسان» ـ هذه الكلمة الرشيقة التي تنساب فيها الحروف انسياباً ـ بينما نعتوا بقة اللغات بـ «الأعجمية»، لأن الأعجم هو الذي لا يُفهم منه. . ولا يَفهم منك. .

ويجب أن يستقرّ، في ذهن القارىء. أنّ النحوَ العربيَّ لم يُبْنَ على استقراء نصوص القرآن ونصوص الحقبةِ الجاهلية دون غيرهما من العصور. . لأننا نعلمُ أن النحاة قد لجأوا الى نصوص الحقبة الإسلامية الأولى الممتدة حتى منتصف القرن الثاني الهجري، فَجُعلَ شعر «إبراهيم بن هرمة» آخر شعر يستشهد به النحاة، ويحتجون به. . ممّا ينفي عن النحو العربيّ صفةَ الجاهلية نفيّاً تاماً؛ لأنّ النحو العربيّ عربي النشأة، عربي المادة، عربي المنهج، عربي الأدوات، وعربي النتائج، وهو يمثل صفة الأصالة، ويعكس عبقرية الأمة العربية التي أنشأت، في حقبةٍ ما من تاريخها المديد، مؤسساتها على مثالها، ومنها اللغة والنحو.

وسنتكلّم، في العدد القادم، على سبب تحديد الحقبة الزمنية لأخذ الشواهد النحوية. . ولكنني أوّد أن أختم هذه المقالة بكلمة، وهي أن التشديد على عروبة النحو نشأةً، ومادةً، ومنهجاً، ووسائل ونتائج لا يطعن بإنسانيته. . ولا يُعتبر عملاً عنصرياً، لأن القرآن الكريم قد وصفه ربُّ العالمين بقوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف ١٢/ ٢. ﴿وكذلك أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً﴾ الرعد ١٣/ ٣٧ وبأنه ﴿عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ النحل ١٦/ ١٠٣، دون أن يستطيع أحد أن يدّعي عنصرية القرآن وتعصبه، وهذه شهادة سماوية للعرب والعربية. . أفلا يَعقلون؟!

اللغة العربية لكل زمان[1]

يقرر علماء اللسانة ـ أو الألسنية ـ أنَّ الزمان هو العاملُ الفاعلُ في تغيير اللغات وتطويرها. . بل في شرذمتها الى لهجات، تبتعد عن الأصل رويداً رويداً، بفعل عوامل مساعدة مثل تغيّر المكان، والمناخ ـ بضم الميم ـ والصفات الوراثية للمتكلمين ، والحالة السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية لهذا الشعب أو لذاك.

إنَّ دراسة اللغات الإنسانية دراسة زمانية/آنية توضح هذه الحقائق وتدعمها، وما التحولات التي طرأت على اللغة اللاتينية وأدّت الى تفرّعها إلى لهجات اختصّ كل شعب من الشعوب الهندية الأوروبية بواحدة منها إلا دليلاً على ما سبق بيانه. . ما أدّى، كما هو معروف، الى انقطاع يكاد يكون تامّاً بين أصحاب اللغة في كل جيل تقريباً. . فلا يستطيع المثقفُ الإنكليزيُّ المعاصرُ فهمَ مسرحيات «شكسبير»، التي كتبت باللغة الانكليزية قبل سنة ١٦١٦م، مما جعل مؤسسات النشر المعاصرة تعيد كتابة روائع «شكسبير» من جديد بلغة مبسطة يفهمها المعاصرون. . وكأنهم يقومون بعملية ترجمة نصوص الرجل من لغة الى لغة جديدة.

فهل تصدق الحقائق العلمية هذه على اللغة العربية؟

إنّ الإنسان العربيّ العاديّ المعاصر ـ ولا أقول المثقف ـ يستطيعُ أن يفهم أصواتَ لغته، وكلماتها، وتراكيبها، التي قيلت قبل الإسلام، أي أنه يستطيع، الآن، أن يقرأ ما قيل في الجاهلية، وأن يفهمه ـ سواء أكان هذا الكلام شعراً أم نثراً ـ دون أيّ صعوبة تذكر، ولا يحتاج في أثناء ذلك، إلا الى معجم عادي، ليعود اليه في فهم معاني بعض الكلمات، التي قد تكون هجرت ووضعت في الاستيداع نتيجة تطور حياة العرب.

---

(١) مجلة البلاد البيروتية، العدد (٦٦)، السبت ٢١ رجب ٤١٢ هـ ـ ٢٥ كانون الثاني ١٩٩٢ م، ص: ٥١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مَنْ مِنَ العرب ـ سواء أكان مثقفاً أم عاملاً أم فلاحاً أم جندياً. . الخ ـ لا يفهم قول امرىء القيس الآتي:

أحللـــت رحلـــي فـــي بنـــي ثُعَـــلِ
إنّ الكـــرامَ للكـــريـــمِ مَحَـــلّ
فـــوجـــدت خيـــر النـــاس كلّهـــم
جـــاراً، وأوفـــاهـــم أبـــا حنبـــل
أقـــربهـــم خيـــراً، وأبعـــدهـــم
شـــراً، وأجـــودهـــم أوان بَخَـــل

بل مَن مِن العرب لا يفهم قول طرفة بن العبد، ولا يتأثر به، ولا يقوله له: صدقت؟

ولا أغيـــر علـــى الأشعـــار أســـرقهـــا
عنهـــا غنيـــت، وشـــرّ النـــاس مـــن ســـرقـــا
وإن أحســـن بيـــت أنـــت قـــائلـــه
بيـــتٌ يقـــال، إذا أنشـــدتـــه: صَـــدقـــا

ومَن مِن العرب المعاصرين لا يفهم قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ * خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإنسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العَلَق].

بل قد نفاجىء القارىء إذا قلنا إنّ بعض أسفار التوراة قد كتبت باللغة العربية، مثل سفر أيوب الذي كتب شعراً، بالعربية أول الأمر، ثم ترجم الى العبرية، ومنها ترجم الى السريانية، مما يعني أن اللغة العربية قد تكون أقدم لغة «منطوقة» ومكتوبة حافظت على خصائصها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية والأسلوبية حتى اليوم.

هل معنى ذلك أن اللغة العربية عصيّة على الزمان والمكان، ولا تخْضَعُ لعوامل الوراثة، والمناخ والبيئة السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والإقتصادية والحضارية؟.

تخضع اللغة العربية للعوامل المارّ ذِكْرُها، مَثَلُها في ذلك مثل جميع لغات بني البشر. ولكنها مع ذلك إمتازت بمميّزات عدة جعلتها عصية على الزمن وعلى عوامل التغيير؛ لأنها لا تَـزَالُ تحمل صفات صانعها، عنيت ذلك العربي الذي أبدعها على مثاله، سمّواً، وقوة، وقدرة على الحياة، فهي تعكس نبوغه، وتفوقه وعبقريته.. بل إنها قد تكون اللغة الوحيدة التي حافظت على أصالتها، لأننا لا نَـزَالُ نلمح فيها الصورة الصوتية، والخيال المرئي، وأصالة المعنى العائد الى الحدس في الحياة.. مما يجعلنا نجنح بقوة الى القول إنَّ الله قد ألهم أجدادنا العرب ليضعوا هذه اللغة على مثالهم، لتكون لغة الوحي.. لغة القرآن الكريم، ومعلوم أنه لولا القرآن لم تبقَ العربية على ما هي عليه الآن، على الرغم من تمتعها بخصائص لغوية تجعلها طيّعة، وقادرة على استيعاب كلّ مستحدثات الإنسان، وتلبية حاجاته المادية والمعنوية، في كل زمان ومكان.. وتستند في ذلك الى نحو اكتشفه الإمام علي بن أبي طالب.. بل قد نفاجىء القارىء إذا قلنا له إنَّ النحو العربي لم ينشأ كاملاً مع الإمام «عليّ» وتلميذه أبي الأسود، والخليل وسيبويه.. بل إن هذا العلم كان معروفاً، عند العرب، قبل الخليل وسيبويه بأجيال وأجيال.. وقبل الإسلام.. لكن العرب نسوا هذا العلم.. ثم عادوا واكتشفوه مع الإمام، كما قال ابن فارس، في كتابه «الصاحبِيّ في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها».

فهل يبقى للقائلين بأن النحو العربي قد بُنِيَ على أمثلة جاهلية حجة يعودون إليها؟ وما صحة أقوالهم؟ وما خلفياتها؟ وهل يطعن ذلك بصحة النحو العربي وصلاحيته لصون العربية في المستقبل كما صانها في الماضي؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه في العدد القادم.

ممن تؤخذ لغة القواعد؟؟ ولماذا؟؟[1]

يدّعي نفرٌ من الدارسين أنَّ النحو العربيَّ صعبٌ. وسبب صعوبته، في ظنِّهم، عائد إلى أنّه بُني على استقراء النصوص الجاهلية، ويقولون لك: كيف يسمح اللغويون والنحاة العرب لقواعد النصوص الجاهلية بالتحكم بلغة القرن العشرين؟

أما نحن فإننا ندعو المخلصين الى كلمة سواء بيننا وبينهم ألا نصدر في أحكامنا عن أفكار قَبْلِيّة، وأن ندرس القضية أولاً، ثم نصدر الحكم ثانياً. .

يعرف كلُّ من درس علم اللغة أو «الألسنية»، في مظانها، أنَّ اللغة لا تُؤخذُ إلاّ من أصحاب اللغة، أي من الجماعة اللغوية التي أوجدت هذه اللغة على مِثَالها، ولأن أخذ اللغة العربية، مثلاً، عن الفرنسيّ أو الإنكليزيّ أو الروسيّ أمرٌ يدعو الى السخرية، لأنك تكون، في مثل هذه الحالة، كمن ينظر في وجه القرد ويتفرس فيه، ليحدد سمات الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم.

فاللغةُ العربية لا تُؤخذُ إلاّ عن العرب الذين لم يُهَجَّنوا فكرياً، وثقافياً، ولغوياً. لأن الانسان العربيَّ قد أنشأ لغته على مثاله. فأين عاش هذا العربيُّ الذي تؤخذ لغته؟ ومتى؟ ومِمَّن تُؤخذ اللغة ومِمَّن لا تُؤخذ؟

حدّد علماء اللغة العربية المسرح الذي عمّره الذين تؤخذ لغتهم. وحدّدوا الأسباب بما لا يخرج عن قواعد الألسنية الحديثة. وذلك عند كلامهم على «الرَّاوية» أو «المُخبر» أو «المُنبىء» Informant، وهو أحد أبناء اللغة الذين يستقي عالم اللغة منهم المادة اللغوية المحكية بقصد تحليلها،

---

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثانية، العدد ٦٧، السبت ٢٨ رجب ١٤١٢ هـ ـ ١ شباط ١٩٩٢ م، ص: ٥٢.

ولا يُكتفى عادة براوية واحد، بل تُختار عَيِّنَة من الرواة الثقات لتمثل الجماعة اللغوية تمثيلاً مقبولاً من حيث مستويات الثقافة والفروق الناشئة عن الجنس والعمر.

اسمتع معي، عزيزي القارىء، الى قول **أبي نصر الفارابي**، في كتابه المسمى «**بالألفاظ والحروف**»، وهو يحدد، أولاً، العرب الذين يُمَثِّلونَ جماعتهم اللغوية، حين قال: «كانت **قريش** أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانة عَمّا في النفس، والذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم أقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب، هم: **قيس**، **وتميم**، **وأسد**، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم: **هذيل**، وبعض **كنانة**، وبعض **الطائيين**، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم».

أرأيت الى نصّ **الفارابي**.. هل يختلف في منهجه وهدفه عن منهج علماء الألسنية وهدفهم؟ فلماذا يقبل الدارسونَ العربُ ما يقوله علماء اللغة في الغرب ويُعْرِضُونَ عَمَّا يقوله علماءُ العربية؟؟

فإن سألتني إن كان علماء العربية قد أعرضوا عن أقوال بعض العرب، وإن سألتني عن سبب إعراضهم، فإنني أدعوك، مرة ثانية، الى سماع أقوال **أبي نصر الفارابي**، الذي قال: «وبالجملة فإنه لم يؤخذ:

١ ـ عن حضريّ قطُّ.

٢ ـ ولا عن سكان البراري مِمَّن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم».

إن تحديد المسرح الجغرافي، وتحديد الناطقين الذين تؤخذ لغتهم، عَمَلٌ فيه الكثير من البراعة، والحنكة، والعلمية.. بل فيه من الإلهام الإلهيّ الذي هداهم لإبعاد من كان يمكن أن يتأثر بثقافات الشعوب المجاورة، وبعقليتها، وبلغاتها: أصواتاً، وكلمات، وتراكيب جمل، وأساليب قول،

ولحناً، وتنغيماً، ونبراً. الخ، ولا يعني هذا أن كل هؤلاء الذين سكنوا الأطراف قد أصيبوا بلغتهم، بل من الممكن أن يكونوا قد أصيبوا، لذلك فاللجوء الى الوقاية، في هذا المجال، إلهام، وتوجيه، لأنه لا يمكن لهذه القبائل أن تختلط بتلك الأمم الأجنبية دون أن تُؤَثِّر فيها وتتأثر بها في الوقت نفسه.

وهذا التأثر، مهما كانت نتائجه، هو انحراف عن شخصية الأمة، وعن أصالتها، ممّا يعني انحرافاً عن ينابيع البطولة والصفاء ونهج الحياة الذي أعدته السماء لهذا البدويّ ليكون القرآنُ بلغته. وليكون هو أول من يُبَشّر به.. وينشره في الناس هدايةً، ومنهجَ خلاص وسعادة في الدنيا والآخرة.

إن نصوص شواهد النحو العربي تنتمي الى كل ما قالته القبائل التي لم يتسرب التغيير الى حياتها ولسانها، منذ أول النصوص الجاهلية التي وصلتنا الى منتصف القرن الثاني الهجري بالنسبة لعرب الأمصار، وآخر القرن الرابع الهجري بالنسبة لعرب البادية.

ولكن هذه النصوص الشعرية والنثرية ـ سواء أكانت جاهلية أم إسلامية ـ لم تكن هي الأساس في عمل اللغويين الإسلاميين والعرب، بل نستطيع أن نقول باطمئنان المؤمن إن القرآن الكريم هو الذي كان محور الدراسات العربية الإسلامية كلّها، وهي لم تنشأ، في الأصل، إلا لفهم آياته، واستخراج الأحكام التي تنتظم حياتنا منها.

وأريد أن أختم هذه المقالة بحقيقة علمية ألهمها الله تعالى لأجدادنا النحاة. وهي رفضهم اعتماد نصوص الصحف، أي أنهم التزموا بتلقي النصوص مشافهةً، من فم المتكلم الى أُذُنِ المتلقي أو السامع، تطبيقاً لمقولتهم المشهورة: «**لا تأخذوا العلم عن صحافي، ولا القرآن عن مصحفي**».. ويكون أجدادنا، بذلك، قد سبقوا علماء الغرب المعاصرين الذين حددوا اللغة الإنسانية بأنها الأصوات المنطوقة، وبأنها ليست الحروف المكتوبة، لذلك فإن علم اللغة الحديث لا يهتم إلا بالأصوات، أي الكلام، ويبتعد عن الحروف، أي عن الكتابة..

أَلاَ يكفينا مثل هذا الكلام ليقنعنا بأن كلام الله قد هدانا الصراط العلمي المستقيم، فسبقنا علماء الغرب المعاصرين بألف وأربعمائة سنة.. أَلاَ يستحقُ ذلك كلّه محاولة التفكير؟؟

مستوى نصوص القواعد..[1]

جاءني أحد الأخوة، وقال لي، بعد قراءته مقالتي السابقة: أُعجبتُ بما أوردته عن منهج النحاة العرب في تحديدهم زمن الاستشهاد بالجاهلية، وبقرنين ونصف القرن بعد الجاهلية في الحواضر، وبأربعة قرون في البوادي.. وتفهّمت سبب تحديدهم مسرح القبائل التي تُؤخذُ لغتها، واستنتجت أنَّ سبب هذا وذاك إنما يكمُن في تصور النحاة أن تلك القبائل، في ذلك الزمن، تمتاز بسلامة اللغة، وخلوّها من اللحن، وخلوصها من شوائب العجمة. وأعجبت بالنص الذي أشرت عليّ بقراءته لابن جني، في كتابه اللغوي الرائع «الخصائص»، «باب ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر،» و «علة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة، وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل، ولو عُلِمَ أنّ أهل مدينة باقون على فصاحتهم، ولم يتعرض شيء من الفساد للغتهم، لوجب الأخذ عنهم، كما يؤخذ عن أهل الوبر، وكذلك لو فشا، في أهل الوبر، ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها، وانتقاص عادة الفصاحة وانتشارها لوجب رفض لغتها، وترك تلقي ما يرد عنها، وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا ـ أي في عصر ابن جني المتوفى سنة ٣٩٢ هجرية لأنا لا نكاد نرى بدوياً فصيحاً، وان نحن أنسنا منه فصاحة في كلامه لم نكد نعدم ما يفسد ذلك، ويقدح فيه، وينال منه ويغضّ منه وأعجبت، أيضاً، بتصريح ابن جني أن كلّ ما قيس على كلام العرب الذين تقبل لغتهم فهو من كلام العرب.. فهذا كلام جميل، وفيه الشيء الكثير من العلمية في تحديد الحقبة الزمنية التي تؤخذ لغة أصحابها.

ولكني، اليوم، أريد أن أطرح عليك سؤالاً يتعلق بمستوى النصوص التي استشهد بها اللغويون والنحاة.. هؤلاء الذين كانوا ينقلون لنا أقوال

---

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثانية، العدد ٦٨، السبت ٥ شعبان ١٤١٢ هـ ـ ٨ شباط ١٩٩٢، ص: ٥٢.

الأطفال والمجانين، ويجبروننا على إتباع القواعد المستنبطة منها، وفرضوا، علينا، قواعد كانت نتيجة استقراء النصوص الشعرية، في الأغلب الأعمّ، وأنت تعرف أن الوزن الشعري قد يُؤثِّرُ، كثيراً أو قليلاً، في تراكيب لغته.. وأمّا النصوص النثرية ـ سواء أكانت قبل الإسلام أم بعده ـ فهي قليلة نسبياً.. وأما لغة القرآن الكريم فهي الفصاحة.. ومعنى ذلك أن النحاة قد خلطوا بين مستويات النصوص الشعرية والنثرية والقرآنية.. علماً أن لكل واحد مما ذكرنا خصوصيات تتحكم في تراكيبه اللغوية... فما قولك؟

إنني أودّ، في البدء، إجابتك عن القسم الأول المتعلق بأخذ نصوص الأطفال والمجانين، لأقول لك:

ـ أولاً: إن لغة الأطفال قد لا تكون بالضرورة مخالفة للغة السائدة.. بل قد تعكس خصائص اللغة كما هي.. استمع معي الى ابن فارس، المتوفى ٣٩٥ هـ، وهو من كبار اللغويين العرب القدامى، وهو يقول، في كتابه القيم، «الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها»: تُؤْخَذُ اللغةُ اعتياداً كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم على مرّ الأوقات، وتؤخذ اللغة تلقناً من ملقن، وتؤخذ سماعاً من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة، ويتقى المظنون»..

ـ ثانياً: أمّا الأخذُ عن المجانين فلم نعرف أن قاعدة لغوية بُنيت على نصّ مجنون ما.. ولكن قد يؤخذُ نصُ المجنون ـ إن وجد ـ على سبيل التمثيل، وليس على سبيل الاستشهاد أو الاحتجاج. وفرق كبير بين التمثيل بالقول وبين الاستشهاد به أو الاحتجاج به..
لأن الاستشهاد يبني قاعدة،
والاحتجاج هو الاستدلال على صحة القواعد النحوية التي بنيت من النصوص المستشهد بها..
وأما التمثيل فليس سوى شرح القواعد النحوية بذكر أمثلة لغوية بغية التوضيح والشرح.. ولا يقتصر التمثيل على عصر من العصور. ولا على مستوى لغوي دون آخر.. على حين أن نصوص الاستشهاد والأدلة النّصيّة في

الاحتجاج ترتبط بفكرة زمنية محدّدة، وهي التي يُرجع إليها، دون غيرها، في بناء القواعد النحوية.. وأرى أن منهج النحاة واللغويين، في التمثيل، لا يخرج عن المنهج القرآني ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ البقرة ٢/٢٦.

وأمّا سؤالك عن مستوى النصوص المأخوذة من القرآن الكريم والشعر والنثر والخلط بين هذه المستويات فحجّة مردودة في الشكل وفي المضمون؛ لأن القواعد اللغوية، بل العلوم اللغوية كلّها لم تنشأ، عند العرب والمسلمين، إلا خدمة للنص القرآني.. فكيف تريدني أن أُبعِدَ نصاً أُنشئت القواعدُ من أجله؟؟

إن هذا السؤال الذي يطرحه الطيبون من الناس، جرياً وراء مثقفين مستغربين، يقصد به خلق هوة بين أبناء القرن العشرين وبين القرآن الكريم، لتصبح لغة القرآن لغة مُتْحَفِيّة،مهجورة، لا يُتْقِنُها إلا المتخصصون في اللغات الميتة.. فيخسر المسلمون قرآنهم الهادي الموجه، لأن الانسياق وراء بناء قواعد جديدة من اللهجات السائدة، سيخلق لغة تختلف كثيراً، أو قليلاً، عن لغة القرآن الكريم، فيقبلون، في غير مشقة، ولا جهد، أن تكون لهم لغتهم «الطبيعية» المألوفة، التي يؤدّون بها أغراضهم، ولهم في الوقت نفسه، لغتهم الدينية الخالصة التي يقرأ بها القرآن الكريم، فيصبحون كالمسيحيين الذين يستمعون الى أناجيلهم تُتْلَى عليهم باللغة السّريانية، أو القبطية، أو اليونانية، أو اللاتينية دون أن يفقهوا منها شيئاً.. فيضطرون، ساعتئذٍ، الى «ترجمة القرآن» الى لغاتهم المحلية كما ترجمت الأناجيل الى لغات الأمم التي دانت بالمسيحية.. فتنقسم صفوفُهم، وتذهب رِيحُهُم، ويصبحون، أمام جبروت الغرب وطغيانه كأنهم عصفٌ مأكول..

ولكن الله الذي أنزل القرآن عربياً، أخبرنا أنه هو الحافظ له ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحِجر ١٥/٩، لذلك فشل المتآمرون على العربية، وعلى القرآن الكريم، وعلى الإسلام، ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُم فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ المائدة ٥/٥٣، لأن المسلمين، في مشارق الأرض ومغاربهَا،

يتجهون، هذه الأيام، الى القرآن العربي، بعقولهم وقلوبهم، مطمئنين الى القرآن، ولغته، ولأن الاشتغال باللغة العربية هو من الديانة عند المسلمين، لأنهم يعتقدون إعتقاداً راسخاً بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَىَ قَلْبِكَ لِتكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُبِيْنٍ﴾ الشعراء ٢٦/١٩٢ ـ ١٩٥، أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ؟!.

الدعوات الى العامية:
خلفيات وأهداف[1]

ارتبطت الدعوات الى العاميات أو «السوقيات» بدعوات التخلف، والتفتيت، وتجزئة الوطن العربي الكبير الى دويلات عرقية أو طائفية أو مذهبية بغية السيطرة الكاملة على الأرض العربية من جهة، وتهجير العربيّ عن أرضه، أو إفنائه من جهة أخرى، وصولاً الى السيطرة على المسلمين كافة، وضرب العروبة والإسلام ضربةً قاصمة قاضية؛ لأن العربية هي لغة العرب، ولغة الإسلام.. إنّها لغة القرآن الكريم.. فإذا نجح الأعداءُ في القضاء على العربية فإنهم يأملون في القضاء على العروبة والإسلام اللذين يشكلان القوة «الفكروية» الوحيدة في العالم التي تواجه مخططات الغرب في القضاء على الشعوب لإستغلال خيراتها، والسيطرة على أرضها.. فإذا أُزِيلَ الإسلامُ - لا سمح الله - من الوجود أُزِيلت من أمام المستعمرين العوائقُ، وأصبحت كلُّ الطرق سالكة أمامهم.

إن الذين باشروا الدعوات الى العاميات مباشرة «علمية» وعملية هم الإنكليزُ، وبعض المستشرقين، والمستغربون، وبعضُ المغفلين من العرب والمسلمين مِمّن لم يفقه غاية تلك الدعوات الخبيثة الهدّامة وأبعادها السياسية الخطيرة.

إن الإنكليز الذين بدأوا تلك الدعوات المسمومة قد أنفقوا أموالاً لا حصر لها لكي يعمموا استعمال اللغة الإنكليزية الموحّدة في بلادهم وصولاً الى توحيد المجتمع الإنكليزيّ، فلماذا عملوا على نشر لغة موحّدة في بلادهم وحاربوا اللغة الموحّدة في بلادنا؟

أدرك الإنكليز والألمان أنّ اللغة ليست وسيلةً تعبيرية فقط.. لأنها تقوم

---

(١) مجلة **البلاد** البيروتية، السنة الثانية، العدد ٦٩، السبت ١٢ شعبان ١٤١٢ هـ - ١٥ شباط ١٩٩٢ م ، ص: ٥٤

بوظيفة أخرى تفوق الوظيفة التعبيرية، ألاَ وهي التفكير. فاللغةُ القوميةُ هي الوعاءُ الذي تتشكل فيه أفكارُ الشعب، وهي، تالياً، تُسْهِمُ في «خلق» العمل الإنساني، وإن لم تكن هي التي «تخلقه» فعلاً، لأنها تؤثِّرُ فيه، وتسدّده وتوجهه.. بل إنّ اللغة هي التي تمثلُ روحَ الشعب الذي يتكلّمها. فالأمة تنشيءُ اللغة على مثالها، وتودع فيها سرَّ عبقريتها، وخصائصها، ومناهج تفكيرها، وفلسفتها، ودينها.. ونظرتها الى نفسها والى العالم الماديّ، والروحيّ.. ممّا يعني أن اللغة هي التي «تخلق» الشعب الذي أوجدها. فهي روحُ الأمة، وقَلْبُها.. إنها تجعل المتكلمين بها يتمتّعون بروح مشتركة، لهم قلبٌ واحدٌ، وفكرٌ واحدٌ.. بل هي التي ترسم حدودَ الأمة وتميّزها من غيرها، لذلك نقول: الأمة العربية واللغة العربية، اللغة الروسية والأمة الروسية، اللغة الألمانية والأمة الألمانية، الأمة الأميركية واللغة الأميركية... الخ، فالحدود التي تستحقّ أن تسمّى حدوداً طبيعية بين الأمم والشعوب هي الحدود التي ترسمها اللغات.. أمّا الحدودُ الجغرافية، أو المصالح المشتركة.. أو إرادةُ العيش المشترك.. الخ، فإنها لا تلبث أن تزول، أو تتحول وتتبدل، فتتبدل الحدود وتتغير.. وما حدث في «الاتحاد السوفياتي» السابق هو خير دليل عمّا نقول.. فقد انفرط عقد هذه الإمبراطورية الضخمة.. وتجري الآن معارك طاحنة لإعادة رسم الحدود.. ولن تنجح هذه المحاولات إلا إذا راعت حدود اللغات لكلّ شعب من تلك الشعوب...

لقد أدرك الإنكليز والفرنسيون تأثير اللغة في جمع المسلمين من جهة، وفي توحيد الأمة العربية من جهة أخرى، فحاولوا حرمان الشعب العربي وشعوب الأمة الإسلامية من حق استعمال اللغة العربية والتفكير بواسطتها، ليستطيعوا ظلم العرب والمسلمين وإذلالهم، وإهانتهم، ومسخ شخصيتهم، والقضاء عليهم معنوياً، واستغلالهم مادياً.. وإبادتهم جسدياً.. وذلك بتقسيمهم إلى مِصْريّ، ولبنانيّ، وسوريّ، وعراقي، وفلسطينيّ.. الخ، ولا يكون لهم ما أرادوا إلا إذا جعلونا ننبذُ اللغةَ العربية الفصحى، لغةَ العرب،

ولغة القرآن الكريم، كي نتعامل معها على أنها لغة أجنبية، «غريبة» عنّا. وإلاّ إذا اتخذ كل قطر من أقطار العروبة والإسلام لهجته العامية «لغة وطنية»، ولغة أدب، وعلم، وفن، وسياسة.. وإلاّ إذا تخلينا عن استعمال الحرف العربيّ في الكتابة.. هذا الحرف الذي يوحِّدُ أصوات العربية والعرب وأصوات المسلمين في العالم كله.. فيسهل على الغرب، بعد ذلك، فرض حروفه اللاتينية علينا.. وفرض لغته أو لغاته.. وفرض ثقافته.. وطريقة تعامله.. وقيمه، فيبعدون العرب عن عروبتهم وإسلامهم تحت شعارات «وطنية» أو «تقدمية» أو «ثورية» أو «علمية»، أو «إنسانية».. الخ، بينما يعملون، في بلادهم، ليل نهار، على تثبيت اللغة الموحدة، وعلى نشرها بين الناس بكل السبل، وعلى إجبار الأمم الأخرى على إتخاذها لغة «قومية» ليضمنوا تدجينها... وتبعيّتها.

إن دراسة الشخصيات السياسية و «العلمية» التي أسهمت في الدعوة الى السوقيات أو العاميات تفضح القائمين بها، وتنير السبل أمام الذين ارتضوا أن يكونوا بناة الإنسان السعيد، الذي يعمّرُ ذاته بلغة القومية العربية.. وبلغة القرآن الكريم التي لا نجد أنفسنا إلا بها.

الفصحى لغة التخاطب اليومي[1]

بعدما انتهيت من إلقاء محاضرة عن اللغة العربية الفصحى، ودورها في وحدة هذه الأمة، ودور اللهجات العامية في تعميق حالات التجزئة وارتباطها العضوي بـ «جرثومة» التخلف التي تعمل ـ مع عوامل أخر ـ على إبقاء العرب والمسلمين بعيدين عن الإمساك بخيوط الحضارة المادية، وإتقان معادلاتها، والقدرة على إنتاجها.. طرح عليّ أحد الأساتذة سؤالاً يتعلق بقدرة اللغة العربية الفصحى على أن تكون لغة تخاطب يوميّ.. بل إنه «عَمَّقَ» سؤاله بسؤال استطرادي آخر، قائلاً: وهل كانت اللغة العربية الفصحى المعربة لغة تخاطب في أي وقت من تاريخ العرب والمسلمين؟.

ولا أكتم القارىء الكريم أنني قد كظمت الغيظ الذي تَأَجَّجَ في داخلي، لأنني لم أظن أن يصل الأمر بأحد أبناء هذه الأمة الى التشكيك بوجود اللغة الفصحى، وبصلاحيتها.. مما يمهّد تمهيداً ضمنياً وظاهرياً للتنظير لنشر العاميات أو لإعطائها شرعية الحلول محل الفصحى.

إن أيّ دراس منصف يعرف معرفةً أكيدة أن اللغة العربية الفصحى كانت مستعملة لغة تخاطي يومي حتى عهد قريب جداً. وهذا الاستعمال المستمرّ فرض على المستشرقين الاعتراف بأن اللغة العربية الفصحى كانت مستعملة حتى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

إن إقرارنا باستعمال الفصحى حتى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي لا يعني أبداً أنها لم تستعمل بعد هذا التاريخ لغة تخاطب يوميّ.. ولكننا لا ننفي، في الوقت نفسه، أن الفصحى قد عاشت صراعاً مريراً مع اللغات الأجنبية، ومع التشوّهات التي أصابتها بعد اختلاط العرب بأبناء الأمم غير العربية الذين دخلوا في دين الله زرافات ووحدانا، وبعدما نشأ جيلٌ من

---

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثانية، السبت ٢٤ رمضان ١٤١٢ هـ ـ ٢٨ آذار ١٩٩٢ م ص: ٥٧.

المولّدين من أمّهات أجنبيات، أثّرْنَ في نطق أبنائهن كثيراً أو قليلاً. . وبعدما ابتعد العربُ أنفسُهُم عن موطنهم الأصلي جغرافياً. . وابتعدوا، أيضاً، عن قيمهم وأصالتهم. . ودينهم.

ويعرفُ كلُّ منصف أنّ الفصحى قد بقيت لغة تخاطب المشتغلين بالفكر الإسلامي. . وأظن أن أيّ قارىء قد يتذكر، الآن، أنَّ رجال الدين كانوا يتكلّمون بالفصحى في الحوزات العلمية، وفي «الجامعات» الإسلامية وفي الجوامع والمساجد. . وفي المنتديات الخاصة والعامة. . بل إن رجال الفكر والعلم والأدب كانوا ـ ولا يزالون في الأغلب الأعمّ ـ يتكلمون بالفصحى، ويعبّرون بها عن حاجاتهم المادية والمعنوية. . ممّا كان يدفع بالناس العاديين، في مجتمعاتنا، الى محاولة التكلّم بالفصحى؛ لأن التكلّم بها كان يعتبرُ دليلاً على رفعة المتكلم، ومنزلته الاجتماعية والعلمية. . بل يعتبرُ دليلاً على خطورة الأمر الذي يعبّر عنه. . تماماً كما يحاول المتعلمون، في هذه الأيام التعيسة، أن يعبّروا عن حاجاتهم بكلمات أجنبية قد تفضح انحيازهم للثقافة الأجنبية ولأصحاب هذه الثقافة. . وتكشف تخلّيهم عن العربية وأهلها. . كما تبرز جهلهم بتاريخ أمّتهم وثقافتها وحضارتها.

إنني لا أستطيع إلاّ النظر بعين الريبة والشكّ الى ذلك الذي «لا يستطيع» إلاّ تطعيم عاميته بكلمات فرنسية أو إنكليزية، وتراه يتصبّب عرقاً، وقد يحمّر وجهُهُ أو يصفرُّ ويخضرُّ إذا أخطأ بلفظ عبارة أجنبية. . بينما تراه يفاخر بصفاقة بجهله بلغته، لغة آبائه وأجداده وقرآنه؟؟

إن كلامنا السابق على «المتفرنجين» لا يعني أبداً الدعوة الى الإعراض عن تَعَلّم اللغات الأجنبية، أو احتقارها، والحطّ من قيمة أهلها، والابتعاد عمّا قد تحمله من تراث علمي وأدبي وإنساني. . لأننا من القائلين بضرورة تعلم اللغات الأجنبية وتمثّل ما قد يلائم أفكارنا وقيمنا وشخصيتنا منها. . فتعلّم اللغة شيءٌ. . و «الإستغراب» اللغويُّ والفكريُّ والحضاريُّ والثقافيُّ. . وحتى السياسيّ شيءٌ آخر. . ممّا يعني أن السؤال الذي طرح نفسه بإلحاح، في هذا المُقام، هو: لماذا لا يشعرُ العربيُّ أو المسلم بحرج عندما يتكلم

بلغة أجنبية ـ لا يستطيع التفكير بها ـ للتعبير عن حاجاته اليومية. . إنما يكون ـ في أحسن الأحوال ـ مقلداً. . بينما يخجلُ من التكلم بالعربية الفصحى؟؟ لماذا لا يستحي عندما يقول Good Morning أو Bonjour ولكنه «لا يستطيعُ» أبداً أن يقول: صباح الخير، أو أسْعِدتم صباحاً، أو عِمْتُمْ مساءً. أو السلام عليكم؟؟

* * *

إن تأكيدنا على التكلم باللغة العربية الفصحى لا يعني أننا نطلب من بائع الخضار أن يتكلم بلغة أستاذ الجامعة، ولا نطلب من الطبيب، أو المهندس، أو الفقيه، أو المفسر. . الخ، أن يتكلم بلغة النجّار، أو الحدّاد، أو الفلاح، أو المغنيّ، أو الصناعي، أو التاجر، أو البحّار. . الخ، بل لا نطلب من الفلاح أن يتكلم بلغة الملاح أو الحداد مثلاً، لأننا من القائلين بوجود «طبقات» أو ـ إذا شئت ـ لُهيجات» أو «لُغيّات» داخل اللغة العربية الفصحى الواحدة والموحّدة. . وكلّ «لُغَيّة» تتأثر بثقافة المتكلّم، وانتمائه الاجتماعي، ووظيفته أو مهنته، كما تتأثر بالموضوع الذي يعبّر المتكلم عنه، وتتأثر بالمخاطب المتلقّي. . والمستمعين أو الحضور أو الشهود. . مؤكدين، في الوقت نفسه، أن الفصاحة النسبية لا تزال فاشية في أريافنا. . ممّا يسمح لي بالشهادة بأن من الفلاحين والفلاحات الذين لم يدرسوا في أيّ مدرسة أو جامعة من قد يكون أفصح من بعض سكان المدن الذين سبق أن تلقوا تعليماً مدرسياً وجامعياً. . لأن أهلنا في الأرياف والقرى النائية لا يزالون على سجيّتهم. . ولم تفسد «المدينة» سَليقَتَهم. .

وسنحاول في مقالة ثانية أن نتكلّم على «لغات» المهن والوظائف داخل اللغة العربية الواحدة، لنبيّنَ أن اللغة الفصحى الواحدة والموحّدة لا تضيّق على المتكلّمين بها. . بل يستطيعُ كلُّ إنسان أن يتطور مع لغته دون أن يتخلى عنها أو دون أن يحطَّ من شأنها.

التكلم بالفصحى: أصل وتواصل[1]

يظن بعضُ الناس أن الدعوة التي نطلقها، في كلّ مناسبة، الى تعميم اللغة العربية الفصحى، وجعلها لغةً منطوقة، في كلّ مكان وزمان، وفي كلّ أمر وشأن، دعوة مثالية خيالية، لا تمتُّ، في رأيهم، الى الواقع العربيّ والإسلامي، كونهم ينطلقون من منطلق غير لغوي، نتيجة بعدهم كل البعد عن الحقائق اللغوية من جهة، ولأنهم يصدرون في اعتراضاتهم عن مواقف قَبْلِيّة مقتبسة من أفكار المستعمرين، أو صادرة عَمَّن فقد ذاته وشخصيته أمام الأجانب.

إن دعوتنا الى تعميم استعمال اللغة العربية الفصحى في كلّ المجالات، وجعلها لغة الكلام اليوميّ، لا يتناقض مع حقائق «علم اللغة» الحديث أو القديم، لأنّ اللغة، أيّ لغة، هي - في جزء منها ومن وظيفتها - أصوات يُعَبِّرُ بها كلُّ قوم عن أغراضهم. . أي أنّ اللغة، من حيث الشكل الخارجي، أصواتٌ، أو «رموزٌ من الأصوات»، أو «نظامٌ من الرموز الصوتية»، أو «نظام من العلامات الصوتية»، أو «جزءٌ من العلامات السيميولوجية»، تواضعت الجماعة اللغوية - أو تعاقدت أو تواطأت - على التعبير بها عن أغراضها المادية والمعنوية، ممّا يعني أن التكلّم باللغة العربية الفصحى لا يخرجُ عن هذا القانون اللغويّ، الذي يعبر عن حاجات الجماعات بأصوات متواضع عليها أو متعاقد عليها. . ويكون مَثَلُنا في ذلك مَثَلَ من يتكلّم بالعاميات أو بالسوقيات أو باللغات الأجنبية التي يتعلمها.

إن نظرية المواضعة هذه تسحب من أيدي أعداء العروبة والإسلام أيَّ حجة لغوية. فما دام الإنسان قد تواضع مع أخيه الإنسان على التعبير بأصوات محدّدة عن أغراض معينة فإنّ ذلك يعني أنه لا توجد لغة، في

---

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثانية، العدد ٧٦، السبت ١ شوال ١٤١٢ هـ - ٤ نيسان ١٩٩٢ م، ص: ٥٢.

الدنيا، أقدر من أيِّ لغة أخرى على التعبير عن حاجات البشر. ولكن العِلّة قد تكمن في البشر أنفسهم، أو في جزء من البشر الذين قد لا يستطيعون المواضعة.. وهذه تهمة لا يجرؤ أيُّ مشكّكٍ أن يلصقها بالعرب أو بالمسلمين الذين بذلوا كلَّ ما يمكن لإنسان أن يبذله، وقدموا كلَّ ما يمكن لجماعة بشرية أن تقدمه خدمة للعربية.. لغة الوحي.. ولغة القرآن الكريم، ممّا يعني أن دعاة العاميات أو دعاة اللغات الأجنبية إنما يصدرون في محاولاتهم البائسة عن منطلقات سياسية ودينية تتناقض مع مشروع العرب والمسلمين، وتتصادم مع طموحاتهم في جعل المنهج السماويّ صراطاً مستقيماً للبشرية كافة.

وقد تنبه علماؤنا وأجدادنا الى قضية «المواضعة» ودورها في نشر لغة ما وتكلمها، أو في خلق لغة ما وتعميمها، وسنكتفي بقراءة مقطع صغير، لإبن جني، المتوفى سنة ٣٩٢ هجرية، في كتابه «**الخصائص**»، حيث يؤكد أن حاجة الإنسان الى الإبانة عن الأشياء المعلومات دفعته، داخل المجتمع، الى أن يضع لكل واحد من حاجاته سمة ولفظاً، إذا ذُكِرَ عُرِفَ به مسمّاه، ليمتاز من غيره، وليغني بذكره عن إحضاره الى مرآة العين، بل قد يُحتاج، في كثير من الأحوال، الى ذكر ما لا يمكن إحضاره ولا إدناؤه: كالفاني وحال اجتماع الضدين. فمتى سُمعت اللفظةُ المتواضعُ عليها عرفُ معنيّها.. بل إن الإنسان يستطيع أن ينتقل، بعد عملية المواضعة الأولى، الى غيرها، فيخلق لغة جديدة أو لغات لم يكن لها وجود، وذلك كأن يقول:

- الذي اسمه «إنسان»، فليجعل مكانه «مَرْد» في الفارسية.

- والذي اسمه «رأس»، فليجعل مكانه «سَرْ» في الفارسية.

وعلى هذا بقية الكلام.. وتستطيع بعد ذلك أن تولّد لغات كثيرة كالرّومية، والزّنجية وغيرهما.. وعلى هذا ما نشاهده الآن من اختراعات الصّناع لآلات صنائعهم من الأسماء: «كالنجار، والصائغ، والحائك، والبناء، وكذلك الملاح..»

فهل نستشهد بـ «**شليجل**» و «**فردينان دي سوسير**»، و «**تشومسكي**» ، بعد استشهادنا بحركة الواقع على أرض العروبة والإسلام، وبعد استشهادنا بابن جني، لنقنعَ بعضَ الجاهلين بعلم اللغة أن التكلم باللغة العربية الفصحى لا يخرجُ عن قانون علم اللغة الحديث، وإلى أن إمكانية التكلم بالفصحى قائمة لا ريب فيها؟؟

وهل نعيدُ قولنا إنّ الدعوة الى التكلم بالفصحى لا يعني أن الفصحى «طبقة» لغوية واحدة، بل قد يعني أن لكل فئة إجتماعية أو لكل أصحاب مهنة أو وظيفة مصطلحاتٍ محددةً داخل اللغة الواحدة، وتعابيرَ يُعرَفون بها.. ولكن دون أن يعني ذلك الإنفصال عن اللغة الموحدة؟؟

وهل نحتاج الى تذكيرِ منْ قد تَنْفَعُهُ الذِّكرى بأن كلَّ الأمم، وكلَّ الجماعات اللغوية، قد لجأت الى تأليف نوعين من المعجمات، دون أن يعني ذلك الدعوة الى جعل اللغة الواحدة لغات متعددة لا يفهم بعضهم مراد بعضهم الآخر، وهذان النوعان هما:

الأول: المعجمات اللغوية العامة، كلسان العرب لابن منظور، وككتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، وكمعجم «لاروس» الفرنسي، وكمعجم «وبسترز» الإنكليزي.. الخ.

والثاني: المعجمات المتخصّصة بعلم من العلوم أو بمهنة من المهن، أو بفن من الفنون، وذلك كمعجم علم اللغة. والمعجم الطبي، والمعجم الفلسفي، والمعجم البحري، والمعجم العسكري، ومعجم البلدان والقرى.. الخ؟؟

وهل أنا بحاجة الى التذكير بأن أجدادنا العرب المسلمين قد سبقوا علماء الأمم كلّها في إخراجهم هذين النوعين من المعجمات منذ أربعة عشر قرناً؟؟

التكلم بالفصحى وركوب الدراجة الهوائية[1]

جاءني صديقٌ كان قد قرأ دعوتي المستمرة إلى التكلّم باللغة العربية الفصحى، وقال لي: إنّ دعوتك هذه مثالية.. أفلا تنظرُ إلى المتعلّمين الذين يحاولون التكلّم بالفصحى؟ أوَ لَم تلاحظ كيف يلحنون من وقت لآخر، وكيف يتلعثمون؟ ألاَ ترى أن التكلم بالعاميّة يوفّر عليهم كلّ هذا العنت، ويجنّبهم تلك المزالق؟

تتبّعت حديث هذا الصديق بانتباه، لأنني أحسستُ بتعاطف معه، كونه يصدر في أسئلته عن محبّة، فقلت له: ألاَ فاعلم، يا صديقي، أنّ الأخطاء التي يرتكبها بعضُ الكتاب والخطباء والأساتذة هي أخطاء عارضة.. هي أقرب إلى زلاّت اللسان. ولو قُدِّرَ لهذا الخطيب أو لذاك المتحدّث أن يتدرّب قليلاً على التكلّم بالفصحى لما وقع فيما وقع فيه.. ولكان تجنّب معظم أخطائه.. ولكن العربيّ المتعلّم - بل أقولُ المتخصّص باللغة العربية وآدابها - قد لا يتكلم بالفصحى إلاّ في المناسبات التي تُفْرَضُ عليه فرضاً.. ممّا يعني أنه لو تدرّب على التكلّم بالفصحى لأصبح الأمرُ عنده عفوياً، يمارسه كما يمارسُ ركوبَ الدراجة الهوائية...

قاطعني صديقي وقال لي: وَمَا العَلاقةُ بين ركوب الدراجة الهوائية وبين التكلّم بالفصحى؟!

- ضحكت، وقلت له: أظنّ أنّك لا تزال تتذكر تلك اللحظات التي بدأتَ فيها محاولة قيادة الدراجة الهوائية وركوبها.. وكيف كنتَ تخاف، أولاً، وكيف كان ينعكس خوفُك على حركاتك.. فَيَتَسَمَّرُ نظرُك على العجلة الأمامية فلا ترى الطريقَ أمامك.. وَتَتَيَبَّسُ يداكَ على المِقود فلا تستطيع

---

(1) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثانية، العدد ٧٧، السبت ١٥ شوال ١٤١٢ هـ - ١٨ نيسان ١٩٩٢، ص: ٥٤.

تحريكه يَمْنَةً أو يَسْرَةً عند الحاجة، فتصطدم بأول جسم يعترض طريقك.. وكيف كان جَسَدُك «يَتَخَشَّبُ» فلا تستطيع التوازن الدقيق مع الدراجة ومع منحنيات الطريق.. أنت تتذكر كلّ ما ذكرت لك.. أليس كذلك؟

ـ أجابني صديقي ضاحكاً: بَلَى. بَلَى.. أنا أتذكّر.. ولا أزال أحمل آثار تلك اللحظات على فخذيَّ، وعلى أجزاء أخر من جسدي..

ـ قلت له: ولكنك تستطيعُ، الآن، أن تعود إلى تلك الأيام، وتقود درّاجتك كما كنت تفعل.. ولكن بعد تدريب قليل على الرغم من إتقانك فن القيادة سابقاً..

ـ قال: نعم.. هذا صحيح.. لأنني كنت أحاول أن أقود خلسة درّاجة ابني الهوائية عندما لا يكون موجوداً في البيت.. وكنت أكتشف أنني كنت أفقد شيئاً من لياقتي، وفنّي، ورشاقتي.. ولكنني سرعان ما كنت أستعيد هذه الصفات كلّها بعد لحظات من التدريب.

ـ قلت له: والتكلّم باللغة العربية الفصحى كذلك.. يجب أن تتدرّب، أولاً، على التكلّم بها، في كلّ زمان وشأن، فإذا جعلنا هذا التدريب محبّباً وجماعياً.. فإننا سنحملُ بعضَ آثاره ومصاعبه ولكننا سنتكلّم، في النهاية، بالفصحى، وكما نطق بها أجدادُنا.. وعلينا أن لا نكتفي بالتكلّم بها في مناسبة عابرة.. لأننا إذا أهملناها، وابتعدنا عنها، انتقمت لنفسها، وأوقعتنا في أخطاء قد نحمل آثارها معنا.. كما نحمل آثار محاولاتنا الأولى لقيادة الدراجة الهوائية.

فالتكلم بالفصحى سيصاحبه الوقوع في اللحن، ونحن لم نقم الحدّ على من يلحن، بل قد ننظر إليه نظرة عابرة فيعرف أنه أخطأ فيصحّح.. فإن لم يعرف فمن المستحسن أن نعرّفه بأدب ولطف ومحبّة إلى أخطائه، ونطلب منه أن يراقب كلامنا، ويقوّم أخطاءنا.. فإذا انتشر هذا المنهج التقويميّ في صفوف الناس جميعاً، وكانت غايته الإرشاد، عملاً بمنهج الرسول العربيّ الكريم، حين لحن رجلٌ بحضرته، فقال عليه الصلاة والسلام: «أرشدوا

أخاكم فإنّه قد ضلّ». . إذا انتشر تطبيقُ هذا المنهج الرسوليّ، في الإرشاد، والتقويم، وإبعاد بعضنا بعضاً عن الضّلال. . فإنّه سرعان ما يؤتي أُكُلَهُ خيراً على اللغة وأهلها. . فيصدر المتكلّم بها عن عفوية وطبعية، ولا أثر فيه للتكلّف، مقوماً لسانه ومطوّعاً بعض أصوات اللغة، وكلماتها، وتراكيبها، وأساليبها، تطويعاً حكيماً، يلبيّ حاجاتنا المادية والمعنوية، ويحفظ شخصيتنا العربية الإسلامية. . فإذا نحن خير البشر. . وإذا لغتنا أفصح الألسنة عندنا، وأقدرها على التعبير عن أمور معاشنا ومعادنا، لأن العودة إلى الفصحى أَصْلٌ وتواصل. . وتقويمٌ للتشوّهات الطارئة التي أصابتنا. . وأصابت لغتنا العربية نتيجة ابتعادنا عن ذاتنا العربية، وعن منهجنا الإسلامي.

ضحك صديقي حتى بدت نواجذُهُ، ثم قال لي، باللغة العربية الفصحى: لن أتكلّم بعد اليوم إلاّ بالفصحى، وعلى سَدَنة اللغة العربية وخدمها، أن يصحّحوا لي أخطائي، ويقوّموا تعابيري، وأنا سأقوم، أيضاً بوظيفة المقوّم. . ولكنّي سأتمثّل قول الشاعر:

وكُنْـــــتُ إذا غَمَـــــزْتُ قَنَـــــاةَ قَـــــوْمٍ
كَسَـــــرْتُ كُعُـــــوبَهَـــــا أو تَسْتَقِيمـــــا

ـ فضحكت، وقلت له: قوّمها، ولا تكسرها، يرحمك الله، وتمثّل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وقُولُوا لِلنّاسِ حُسْناً﴾ «البقرة٢/ ٨٣»، و ﴿ادْعُ إلى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بالتي هي أَحْسَنُ﴾ «النمل: ١٦/ ١٢٥»، ﴿ادْفَعْ بِالتي هِيَ أَحْسَنُ فإذا الذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ «فُصِّلت: ٤١/ ٣٤».

الإعراب والسليقة[1]

أقبل علي صديقي الأستاذ «أحمد»، وقال لي: «إنك تضيّعُ وَقْتَكَ بالدعوة الى التكلم بالعربية الفصحى، مُعرَبَةً، كما جاءت في القرآن الكريم وفي أشعار الجاهلين، وعبثاً تحاول في تشبيهك التكلّم بالفصحى بركوب الدراجة الهوائية تارة وبالسباحة تارة أخرى، لأن الإعراب، في رأينا «حدسيّ» و «إدراكيّ».

«فالحدسيّ» ينحصرُ في «المنصوبات الإسمية والتركيبيّة»، ويمارسُهُ الناسُ في كلّ أمر وشأن، لأنه يرتبط بـ «الحدس»، ويدرك به، ولا يكون للعقل فيه أيُّ وظيفة.. اللهم إلا وظيفة الاكتناه والإدراك النظريّ المجرد.. لذلك لا يخطىءُ الناسُ فيه.. ألاَ تسمع الناس يقولون: مبدئياً، وفلسفياً، وأيضاً، وشكراً، ودائماً، وصباحاً، وثانياً، وثالثاً، ورغبة، ورهبةً، ومرحباً، ولله دَرُّكَ نحوياً ولغوياً، وواحداً واحداً عاد المهاجرون الذين يحبّون وطنهم حباً جماً.. الخ..؟

ألاَ ترى أن هذا الإعراب «الحدسيّ» أعرابٌ طبيعيٌّ، عفويٌّ، حيٌّ موصول بعروق الحياة اليومية، ومستعملٌ في لغة التخاطب الشفهي؟

أجبت صديقي «أحمد» قائلاً: إنني أوافقك الرأي في أمر هذه «المنصوبات الاسمية التركيبية»، وأرى أنّك قد أكّدت الدعوة التي جنّدتُ نفسيَ للقيام بها.. وأنت قد بذلت جهداً مشكوراً في جمعها وتنسيقها، ولكنني أرى أن وجود هذا الإعرابَ «الحدسيّ» شهادةٌ لرأي القائلين بإمكانية التكلّم بالفصحى سليقة...

قاطعني الأستاذ «أحمد» قائلاً: إنّك تحاول أن تعلّمنا قواعد الإعراب «المجردة» تعلماً مدرسياً واعياً.. ولكنك تنسى ـ أو تتناسى أن معرفتنا

(1) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثانية، العدد ٧٩، السبت ٢٩ شوال ١٤١٢ هـ ـ ٢ أيار ١٩٩٢ م، ص: ٥٦.

لقواعد الإعراب تظل معرفة نظرية ـ ذهنية ـ تفكيرية ـ واعية، لا تتحوّل الى معرفة حدسية سليقية.. مما يجعل المتكلم معرّضاً للوقوع في اللحن الإعرابي الملازم للإعراب الإدراكي.. وخصوصاً في إعراب: اسم (إنّ) وأخواتها، و (كان) وأخواتها، والفعل المضارع المعرب، وأبواب: الفاعل، والمبتدأ وخبره. والمجرورات، والنعوت المؤنثة، وحالات من إعراب اسم (لا) النافية للجنس، وحالات من الاستثناء، والتنازع.. الخ. فهل تستطيع أن تنكر أن وقوع كبار المنشئين في اللحن أمرٌ قائمٌ لا ريب فيه؟؟

ـ أجبت الأستاذ «أحمد» قائلاً: أظن أنّك أعطيت، يا صديقي، الإجابة، مرة ثانية، عندما ميّزت بين إعراب «إدراكيّ بسيط» وإعراب «إدراكي معقّد».. وقد لفت نظري قولُكَ إن الإعراب «الإدراكيّ البسيط» هو كل إعراب تكون العلاقة التركيبية «السانتاكسية» بينه وبين عامله اللفظي بسيطة وخالية من تعقيد الإعراب «الإدراكي المعقد»، مثل: المجرورات بالحرف أو بالإضافة، والمضارع المنصوب بأداة ملفوظة أو المجزوم بأداة ملفوظة، والمبتدأ وخبره، وباب معمولي (كان) وباب معمولي (إن) إذا لم يتناول أياً منهما تقديم أو تأخير، وباب الفاعل غير المتأخر عن مفعوله، والمفعول غير المتقدم، وباب معمولي أفعال القلوب.. وهذا النوع من الإعراب «الإدراكي» بسيط، ويستطيع المتكلّمُ تجنّب الوقوع في اللحن به إذا كانت الجملة بسيطة، وكان العاملُ متصلاً غيرَ منفصل.. وأظن ـ بخلاف ما تذهب اليه ـ أنّ المتكلّم يستطيعُ بقليلٍ من الدربة أن يتوصل الى إتقانه والتكلم به حدسياً.

والتدريب الذي ندعو اليه كان المجتمع العربيُّ يؤمنه لأبناء اللسان العربي.. فكان الطفل يأخذ اللغةَ العربية الفصحى المعربة «اعتياداً» و «سماعاً» من أبويه وغيرهما.. بينما نضطر نحن، اليومَ، الى أخذها من «ملقّن»، ومن «الرواة الثقات» ذوي الصدق والأمانة والعلم، ويتقّي المظنون.. بل إننا نحاول أن نجعل الأساتذة، في المدارس والجامعات، والمذيعين في الإذاعات المسموعة، والمسموعة المرئية، والكتّاب والخطباء

والمثقفين.. الخ، نحاول أن نجعل هؤلاء وأمثالهم «أبوي» الطفل العربي و «رواته الثقات»، لِنُؤَمِّنَ لابن اللسان العربيّ بيئة مشابهة لبيئته الأولى.. فنعيده إلى لغته.. ونعيد لغته إليه.. فيعود ليتكلّمها حدسياً.. وعفوياً.. و..

ـ قاطعني صديقي «أحمد»، وقال لي: حسناً.. لو سلّمنا جدلاً بما تقول في شأن ما أسمّيه بـ «الإعراب الإدراكي البسيط».. فماذا تقول في «الإعراب الإدراكي المعقّد»؟؟

ـ قلت له: إنك قد صنّفت، أيها الصديق، في باب «الإعراب الإدراكي المعقّد» باب الفصل. بين العامل والمعمول بما يصلح للعمل في المعمول مثل التنازع، وباب الإعراب على المحلّ، وباب نعت اسم (لا) النافية للجنس المبنيّ، أو العطف على محل اسم (لا) النافية للجنس غير المكرر، ونعت المنادى المقصود بالنداء، واختلاف علامة الإعراب بين النعت والمنعوت.. الخ.

ونحن، أيها الصديق، لا نقول بأن هذه الأبواب سهلة المأخذ.. ولكننا نظنّ ظناً قوياً أنّ التدريب المتواصل، والمقترن ـ في عصرنا الراهن ـ بالدرس، والذي يشترط تدخل العقل في بداية الأمر.. كل أولئك قد يوصل المتكلم ـ حسب رأينا ـ الى تحويل ما تسمّيه بـ «الإعراب الإدراكي» ـ سواء أكان بسيطاً أم معقداً ـ الى ما تسمّيه بـ «الاعراب الحدسيّ».. وقد يكون هذا الضبط العقليّ مرحلياً في المجتمع، لأنه سيتحول، بعد حين من الدهر ـ وبعد توجيه وسائل الإعلام، والإعلان ـ سواء أكانت مسموعة أم مرئية أم مقروءة ـ الى بيئة لغوية متجانسة، تحوّل «الإراديّ» الى «لا إراديّ»، والعقليَّ الى عفويٍّ، وتجعل المتصنّعَ أمراً طبيعياً لا شبهة فيه ولا لبس ولا غموض.

نحن لا ننكر أن الأفراد سيبذلون جهداً إضافياً من أجل إتقانِ قواعد اللغة الفصحى وممارستها.. ونعرف أن ذلك قد يكون بداية مستهجنة في بيئات لغوية ترى في العودة الى لغتها وخصائصها ومميزاتها عيباً، وعاراً،

واعوجاجاً، وابتعاداً عن «الصراط» الذي زرعه الأجنبيُّ في بعض أبناء أمّتي، ولكننا لا ننسى، في الوقت نفسه، أننا يجب أن نقوّمَ اعوجاجاً عمره ألف سنة أو أكثر، وأننا ننظف أنفسنا وعقولنا وثقافتنا من سموم زئبقية متراكمة.

١ ـ الفصحى لغة العلوم[1]

جاءني الأستاذ «شكري» يوماً، وقال لي: لقد قرأت مقالاتك التي تدعو فيها العرب والمسلمين الى التكلم باللغة العربية الفصحى، لأنها، في دعوتك، لغةٌ تتسع لكلّ شيء، ولكلٍّ فن، ولكلّ حاجة، ولكل علم... فهل أفهم من كلامك أنّك تدعو، أيضاً الى تعليم «العلوم البحتة» بالعربية الفصحى؟

ـ قلت له: نعم.. «يا شكري».. أنا أدعو بحرارة المؤمن بلغته وأمته الى التكلم بالعربية الفصحى، والى جعلها لغة كلّ العلوم، سواء أكانت «علوماً بحتة»، كما تسميها، كالفيزياء والكيمياء، والعلوم الطبيعية... أم علوماً نظرية كالإقتصاد، والسياسة، والإجتماع، واللغة... وما الى ذلك..

ـ قاطعني «شكري» قائلاً: ولكنك بذلك تكون قد شوّهت تلك العلوم.. أو تكون، في أحسن الأحوال قد ضربت أسس هذه العلوم ومناهجها ومصطلحاتها...

ـ قلت له: إن العلوم كلها ـ «يا شكري» ـ لا تتغير من لغة الى أخرى. فالجهاز العصبي، عند الإنسان، مثلاً، هو الجهاز العصبيّ، ولا يتغير فيه أيُّ شيء إذا درسته باللغة العربية، أو باللغة الفرنسية، أو باللغة الإنكليزية، أو باللغة الأميركية، أو باللغة الألمانية.. و «الخط المستقيم» أقصر مسافة بين نقطتين ثابتين... هذه حقيقة ثابتة لا تتغير بتغيّر اللغة التي تفكر بواسطتها وتعبّر بها عن أفكارك وحاجاتك...

ـ قاطعني «شكري»، مرة ثانية، قائلاً: ولكنك بدعوتك هذه تكون قد حرمت التلاميذ والطلاب والباحثين من إتقان لغة أجنبية يستطيعون، بواسطتها، أن يكونوا عصريين وعلميين ومبدعين.. لأن الفصحى لغة الشعر

---

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثانية، العدد ٨٠، السبت ٧ ذو القعدة ١٤١٢ هـ ـ ٩ أيار ١٩٩٢ م ، ص: ٥٣.

والعواطف، ولا تصلح لأن تكون لغة العلم والمصطلحات والمناهج.

تصنّعت الهدوء هذه المرة. وقلت له بمحبة من يريد أن يرد ابناً ضالاً عن سلوك المهالك، ولكن بحزم المؤمن الذي لا يخاف في الحقِّ لومة لائم: اسمع «يا شكري» ما سأقوله لك، وتذكّره جيداً:

أولاً: إن دعوتي الى إتقان اللغة العربية الفصحى، وجعلها لغة التخاطب اليومي من جهة، ولغة العلوم كلها والفنون من جهة ثانية دعوة علمية مئة بالمئة... وتلجأ اليها كلُّ أمة تحترم نفسها، لأن اللغة لا تنفصل عن الشعب الذي يتكلّمها.. بل لأن اللغة هي الشعب بمعنى من المعاني... فالذي يتخلّى عن لغته هو كمن يتخلى عن أمه وأبيه، وإخوته وأخواته وأقاربه... ودينه وثقافته. بل هو كمن يحاول أن يتخلى عن جلده ولون عينيه.. وحياته.. فيصبح كـ «الإنسان الآلي» Robot، يُسَيَّرُ من بعيد لخدمة من يستطيع برمجته لمصالحه، ولمن يُمسك بجهاز التحكم به عن بعد.. وأنت تعرف أن المستعمرين يجدون هذا «الإنسان الطبيعي» أرخص سعراً من «الإنسان الآلي»، لذلك تراهم ينفقون ملايين الدولارات لتعليم لغتهم لأبناء الأمم الأخر، لأنهم يعيدون تشكيل أفكار هذه الأمم من جديد.. فينشرون فيها أفكارهم، ونظرياتهم، وحضاراتهم، وأديانهم من جهة.. ويبعدون أبناء هذه الأمم عن لغاتهم الأصلية، وعاداتهم، وتقاليدهم، وحضاراتهم، وأديانهم من جهة ثانية.

ثانياً: إن تعليم العلوم باللغة العربية الفصحى يؤمن لأبنائنا قضايا عدة، منها:

أ ـ إتقان العلوم بسرعة وفهمها، وتمثلها... والإبداع فيها، وتطويرها لخدمة الناس العاديين، بينما يؤدّي الإصرارُ على تلقين أبنائنا العلوم باللغة الأجنبية الى كوارث علمية وتربوية وإنسانية قد يكون رسوبُ أبنائنا في الإمتحانات الرسمية وانقطاعهم عن التحصيل العلمي أقلَّ الخسائر التي تلحق بالأمّةِ بسببها.

ب ـ يؤدي تدريس العلوم بالفصحى الى توفير (٩٠٪) تسعين بالمئة من وقت الطالب المخصص لدراسة هذه المواد.. ونستطيع توظيف هذا الوقت في أشياء كثيرة... ومنها تعلم اللغة الأجنبية التي تطالب بإتقانها..

ثالثاً: يجب التمييز تمييزاً واضحاً ودقيقاً بين إتقان لغة أجنبية باعتبارها لغة أجنبية.. وفرض اللغة الأجنبية وإحلالها محل اللغة العربية... لغتنا الأم... وفرق كبير بين الأمّ الطبيعية الحقيقية والأم «المستعارة» او الإصطناعية...

ـ قاطعني «شكري»، بعصبية، قائلاً: إن طرحك العربيّ الإسلاميّ هذا يؤدّي الى تدنّي المستوى اللغوي الأجنبي عند طلابنا من جهة، ويؤدّي الى ابتعاد أبنائنا عن العلوم ومصطلحاتها ومناهجها وفوائدها من جهة ثانية.

ـ قلت له بهدوء: فلتذهب اللغاتُ الأجنبيةُ كلُّها الى الجحيم إذا كانت ستحل محلَّ لغتي الأم... وإذا كانت ستجعلني «عبداً» في المشروع الفكري الغربي... ثم من قال لك، «يا شكري»، إن اللغات الغربية متساوية كلّها في احتضان العلوم... أو لنقل من قال لك إن أبناء اللغات الأجنبية متساوون كلّهم في دراسة العلوم، ووضع مصطلحاتها العلمية، واستنتاج مناهجها، والانتفاع من تطبيقاتها العملية؟

ـ أجابني «شكري» قائلاً: لم أفهم سؤالك؟

ـ قلت له: سأفهمك ما أريد في جلسة قادمة إن شاء الله.. فلا تنسَ موعدنا في السبت المقبل.

٢ ـ الفصحى لغة العلوم[١]

جاءني الأستاذ «شكري» هذا الأسبوع، وعيناه تعكسان بريقاً داخلياً يشير الى فرح صاحبه، وظنّه أنه قد وقع على الحقيقة كلّها، وقال لي: لقد قرأتُ عن تذمر أساتذة العلوم في الأقطار العربية التي فرضت تعريب تدريس العلوم الصرفة والتطبيقية والتقنية في كليات التعليم العالي.. بل إن بعض الأساتذة الكبار لم يلتزموا بقرارات حكوماتهم، وهدّدوا بالإستقالة إذا فُرضت العربية عليهم لغة تدريس.. فما قولك أيها الدكتور المتعصّب للغة أمته كما يتعصب الشاب الغر لشرف أمّه؟!

أدركت من كلام الأستاذ «شكري»، ونبرته التهكميّة، وأمثلته، أن القضية ليست قضية إيصال المواد العلمية ومناهجها ووسائل استعمالها وتطبيقاتها العملية الى المتعلمين، وليست القضيّة تنافس اللغة العربية مع اللغات الأجنبية الغازية التي حرمت الأمة وأبناءها من التعبير عن حاجاتهم وذواتهم بأصوات عربية تحمل خصائص آبائهم وأجدادهم.. لأن القضية تجاوزت «اللغة = «الوسيلة»، لتصل الى زرع قيم الأجانب وثقافاتهم في عقول أبنائنا وأفئدتهم وقلوبهم ممّا **يجعلُ** من أبنائنا «**أجساداً عربية بأرواح أجنبية**»، فقلت «لشكري»، اسمع يا صديقي: أرى أنك تحبُّ الثقافة الفرنسية واللغة الفرنسية، وأنت تدعو الى تعميم اللغة الفرنسية وجعلها لغة الكلام اليومي، ولغة العلوم.. ناسياً أو متناسياً أنّ اللغة الفرنسية ليست لغة العصر، فلماذا لا تدعو الى التكلم والتدريس باللغة الأميركية، التي تمثل الآن أضخم قوة علمية وعسكرية على وجه الأرض.. بحيث أصبح «الدينصور» الأميركيُّ موجوداً في باريس، ولندن، وموسكو، وطوكيو، بل هو مهيمن على سياسات هذه الدولة أو تلك.. ومع ذلك لماذا لا يقبل الفرنسيّ أو الألمانيّ أو الروسي أو الياباني تدريس العلوم إلا باللغة القومية على الرغم من

---

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثانية، العدد ٨١، السبت ١٤ ذو القعدة ١٤١٢ هـ ـ ١٦ أيار ١٩٩٢، ص: ٥٧.

«تخلّف» هذه الأقوام نسبياً عن الأميركيين، وتريدني أنا أن أدرس العلوم بالفرنسية دون سواها؟!

ولماذا لا نستفيد، يا «شكري»، من الأجانب في القضايا الأساسية التي تساعدنا على عبور المجاز بين التبعية والإبداع.. بحيث نتعلم العلوم ومناهجها وتطبيقاتها دون أن نخسر أنفسنا.

ـ قاطعني «شكري» قائلاً: وكيف ذلك؟

ـ قلت له: سأقرأ لك فقرة واحدة من كتاب «مُرشد المعلّم»، وهو ترجمة لـ «اقتراحات للمعلمين»، أصدرته وزارة التربية الإنكليزية في بريطانيا، ليكون منهجاً للدراسة في مدارس «**المملكة المتحدة**»... فاسمع، يا «شكري»، ما جاء في اقتراحات هؤلاء المعلمين: «وبديهي أنّ مساعدة الطفل في إمتلاك ناصية اللغة من عمل المدرسة جميعها، يتضافر في ذلك جميع المعلمين فيها.. ذلك أن اللغة هي الأداة التي يمكن بواسطتها تعليم الطفل وتربيته، والتي يتمكن الطفل بواسطتها من أن يتوسع في أمر تعليمه وتربيته ويساهم فيه. وأن من مسؤولية المدرسة على وجه الخصوص أن تجعل الطفل يتكلم بدقة وطلاقة وحيوية. وتتأكد أن ما يعبر عنه في الكتابة يؤدّي الى الأفكار والمعاني المقصودة بصورة مضبوطة ومنظمة، ولو أن معلّم العلوم مثلاً إتبع هذا النهج لما كان في عمله من نفع لدرس اللغة بقدر ما فيه من نفع لدرسه هو بالذات، فإنه لا يمكن أن يعلم موضوعه، ما لم يسر في تعليمه على الدقة والانتظام في التعبير، ولا شكّ أن دراسة أيّ كتاب إنما هي، في الحقيقة، عملٌ لغوي، فهي، بالضرورة، درسٌ في اللغة.. وإن ما يبدو من إخفاق الأطفال في اختبارات المواد المدرسية المختلفة كثيراً ما يكون مردّه الى الانطباعات غير المحددة التي تلقوها مما سمعوه أو قرأوه، فالأصل في هذا الإخفاق، على الغالب، الضعف في الناحية اللغوية، فإذا أخذت المبادىء والنصائح السالفة بعين الاعتبار، أصبح من واجب كلّ معلم في المدرسة أن يبذل أقصى الجهد لتيسير سيطرة الطفل على الكلمات وتمكينه من ناصيتها». فما قولك، يا شكري، في ذلك؟

ـ قال «شكري»: لقد أتعبتني، وأرهقتني.. بكلامك على تفاوت اللغات في دراسة العلوم وعلى إصرارا أهل كل لغة على التمسك بها، كما أرهقني استشهادك باقتراحات المعلمين الإنكليز، الوارد في كتاب «الإنكليزية: اللغة والأدب» الذي ترجم الى العربية.. وأقترح أن نؤجّل الكلام في هذا الموضوع للأسبوع القادم.

وافقت على اقتراح «شكري».. لأن غايتي أن أعيد الرجل الى ذاته.. فقلت له: الى اللقاء.

٣ ـ الفصحى لغة العلوم[١]

لم ينتظر الأستاذ «شكري» الموعد المحدد لمناقشة قضية «الفصحى لغة العلوم»، بل بَكَّرَ في المجيء، وبادرني بقوله: أنا أعرف ـ يا دكتور ـ سبب تعصبك للفصحى ، وأعرف أن وراء دعوتك المستمرة هذه دوافع لا تخفى. . ولكنني أحبُ أن تجيبني عن هذا السؤال المحدّد: ماذا تفعل لو لم يكن تخصّصك في علوم اللغة العربية؟ وكيف تثقف نفسَكَ وتعلّمها لو كنت طبيباً، مثلاً، أو مهندساً، أو محامياً؟ وأين هي مصادرك العربية المتخصّصة بهذا العلم أو بذاك الفن؟

ـ قلت لصديقي: يا «شكري»، إن القضية التي تناقشها أبعد أثراً من مشكلة الفرد، وأعمق من مسألة مصدر في هذا العلم أو ذاك الفن. . إننا نتكلم على منهج أمة، ولا نهمل مشكلة الفرد.

الإنسانُ في بلادنا مضطر الى تعلم لغة أجنبية حيّة ليستطيع مواكبة المنجزات الحضارية والثقافية في العالم. . وتعلم اللغة الأجنبية ليس عاراً أو عيباً أو بدعة. . . ولكن إتقان اللغة الأجنبية ـ وإن شئت قلت اللغات ـ يجب ألاّ يكون على حساب اللغة الأم. . إنني، يا صديقي، أدعو الى تعليم الطفل اللغة العربية. . وبعدها فليتعلّم اللغةَ الأجنبية. . . لأننا لو فرضنا عليه تعلّم الأجنبية، وأهملنا العربية أسهمنا إسهاماً خبيثاً في تغريب هذا الطفل، وفي إبعاده عن نفسه وعن بيئته الإجتماعية والثقافية والدينية والسياسية وجعلناه دُمية «رخيصة» في أيدي أعداء الأمة.

تعلّم لغةٍ أجنبية وإتقانُها شيءٌ. . وإهمالُ الفصحى والإبتعاد عنها شيءٌ آخر. . ويجب أن لا نخلط بين الأمرين. . بل قد أقول لك إنني غيرُ راضٍ عن أداء مدارسنا ومناهجها في تعليم اللغة الأجنبية، وإنني أطالب بزيادة

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثانية، العدد ٨٢، السبت ٢١ ذو القعدة ١٤١٢ هـ ٢٣ أيار ١٩٩٢، ص: ٥٥.

الساعات المقرّرة لتدريسها ودراستها . .

ولكنني لا أرضى، في الوقت نفسه، أن يُلقن ابني تاريخ فرنسا ويُبْعَدَ عن تاريخ بلاده، ولا أفهم كيف يفرض على أبنائنا معرفة حركات هذا الملك الأوروبي أو ذاك «المحرر» الأميركي، في الوقت الذي يُشيّد فيه سدٌ منيع بين أبنائنا ومصابيح أمتنا، ومفكريها، وقادتها، ومحرريها . .

أريد، يا «شكري»، أن يتعرّف ابني الى جغرافيا وطنه وأمته أولاً . . ثم ينطلق من بلاده الى أرجاء الكون كلّها . . أُرِيُدُ أن يتعرّف الى كل ما يمتُّ الى العرب والمسلمين بصلة، ثم ينظر الى كل ما هو خارج هذا الإطار بعينين عربيتين . . مسلمتين . . فيأخذ من الغرب والشرق ما يوافقه، ما يُسْهِمُ في تقدمه، ما ينقصه، ما لا يشوّه صورته، ما يكمل فيه ذاته . . ويرمي كل ما يعيق تقدمه ورقيه . . ولن يستطيع ذلك، يا «شكري»، إذا لم يكن قد تعرّف الى ذاته من خلال بيئته الإجتماعية والثقافية ومن خلال بيئته الجغرافية؛ لأن الإنسان كائنٌ اجتماعيٌ، لا يستطيعُ العيش خارج الجماعة التي يرى ذاته في أفرادها . . والتي لا تنظر إليه على أنه غريب متطفل بل تراهُ جزءاً لا يتجزّأ من نسيجها.

إن العرب والمسلمين الذين حصلوا على الجنسية الأميركية، مثلاً، والذين أحبَّ نفرٌ منهم نسيانَ أصله . . قد مورست ضدّهم كلّ أنواع التمييز والقهر في أول صدام خاضته أميركا ضد شعبنا . . لقد أُخضعَ العربُ والمسلمون الى مراقبة شديدة، وتعرضوا لمضايقات وتهديدات لا حصر لها . . دون أن تشفعَ لهم «جنسيتهم» الأميركية . .

ـ قاطعني «شكري» قائلاً: إنك ابتعدت كثيراً عن الموضوع . .

ـ قلت له: بل هنا القضية يا «شكري». الأمةُ القوية تستطيعُ أن تنهج منهجاً مركّباً لتدارك ما ينقصُها، فقد تعمد الى تعليم أبنائها اللغات الأجنبية وهذا، في البداية، أقلُّ كلفةً . . ولكنها، وفي الوقت نفسه، تؤلّف لجاناً متخصصة لتعريب كلّ ما يصدر في بلاد العالم . . ووضعه، خلال أيام

معدودات، بين أيدي أبنائها. . وهذا عملٌ سهلٌ الآن بعد انتشار «الحاسوب» ـ الكومبيوتر ـ واستعماله. .

ـ قال «شكري»: إنك تدعو، إذاً، الى اتباع منهجين متوازيين في البداية، وهما: تعلّم اللغة الأجنبية وتعريب «المنتجات» التي نحتاجها. . وأرى بذلك أننا اقتربنا من التوافق على نظرة موحدة في هذا الموضوع. . فهل توافق على مناقشة هذه القضية في الأسبوع المقبل؟

ـ ضحكت وقلت له: الى اللقاء يا «شكري»، في الأسبوع المقبل بإذن الله.

٤ ـ الفصحى لغة العلوم[1]

جاءني الأستاذ «شكري» «هَاشّاً باشّاً»، وقال لي: أظن أن هذا اللقاء سيكون خاتمة كلامنا على جعل الفصحى لغة العلوم، وقد اتفقنا، في المرة الماضية، على مناقشة قضية التعريب وأهميتها من جهة، وضرورة إتقان لغة أجنبية من جهة ثانية. فما قول الدكتور المتعصّب للغته تعصبه لذاته؟

ـ قلت للأستاذ «شكري»: أظن أننا قد بدأنا بداية جيدة. ألاَ ترى معي، يا صديقي، أنّ نقاشنا يعالجُ قضية تملكنا العلم الحديث ومناهجه، وتقنياته، واستعمالاته التي تضمن لنا مسايرة ركب الإنسانية دون أن نكون، في الوقت نفسه، عالةً على أحد، أو تابعين لهذه الأمة أو لتلك؟

وأرى أن نطرح على أنفسنا السؤال التالي: ما أَقْصَرُ المسالك الى تملّك العلوم ومناهجها واستعمالاتها؟ هل نلغي اللغات الأجنبية من مدارسنا؟ أنعلّمُ أطفالنا بلغة عربية فصحى لا يرفدها أبناؤها بثمرات عقولهم وعقول أبناء الأمم المتقدمة؟ أم نشكّل لجاناً متخصصة للترجمة؟ أم نتخلى عن لغتنا القومية؟

ـ تبسم الأستاذ «شكري»، وقال لي: ما رأيُكَ لو بدأنا بقضية الترجمة.

ـ قلت له: إنني أرى في الترجمة حسنات وسيئات قد لا تراها أنت.. ولكنني أخشى بطء المترجمين من جهة، وغموض ترجماتهم وتناقضها من جهة ثانية، وصدورها صدوراً عشوائياً من جهة ثالثة.. لذلك أقول بصراحة: قد تحلُّ الترجمةُ مشكلةً ما حلاً مؤقتاً.. ولكنها ليست العلاج الذي نسعى إليه.. وهذا لا يعني أنني لا أطالب بتعريب المناهج..

ـ قال «شكري»: إنني أرى أنك تريد التعريب، وتخشى تناقضات

---

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثانية، العدد ٨٣، السبت ٢٨ ذو القعدة ١٤١٢ هـ ـ ٣٠ أيار ١٩٩٢ م، ص: ٥٥.

الترجمة العشوائية وغموضها، وترغب بتعلم لغة أجنبية، ولكنك لا تريد التخلي عن تعصّبك القومي.. فماذا تريد بصراحة؟

ـ قلت: أَوَتَظُنُّ، يا «شكري» أنني لا أعرف أن سبعين بالمئة من لغة العلوم البحتة والعلوم الاقتصادية والسياسية والعسكرية هي إنكليزية، وأن ١٢٪ منها كانت باللغة الروسية، و٥٪ كانت بالألمانية، و٤/ باليابانية و١٪ بالإيطالية، و٢٪ بالصينية، والبولونية، والإسبانية، و٢٪ ليس غير باللغة العربية واللغات الإنسانية الأخر؟! إنني أعرف كل هذا.. وأعرف أنّ اللغة الإنكليزية هي لغة الصناعة والتجارة... ولغة «الديناصور» الأميركي.. وهي جوازُ سفر الإنسان الى الأمم الأخر.. لذلك فإنني أدعو أبناء جلدتي الى تعلّم هذه اللغة وإتقانها.. فقد يكون إتقان اللغة الانكليزية أقلّ كلفة من الترجمة البطيئة أو المشوّهة أو الغامضة، وقد تكون أقصرَ المسالك للوصول الى مصادر العلوم الحديثة.. ولكنني أدعو، في الوقت نفسه، الى أن يتمتع أبناءُ أمتي بمرونة المؤمن وصلابته..

إنّ المرونةَ التي أدعو الى التحلي بها تجعلنا نُعْرِضُ، مؤقّتاً، عن تضييع أعمار أبنائنا في لغات أجنبية ورثناها عن المستعمرين.. ولنتجه اتجاهاً ثابتاً نحو الإنكليزية ولنتقنها، مرة واحدة، إتقاناً لا يتدنّى في مستواه عن مستوى أهلها تكلّماً وكتابة.. دون أن يعني ذلك التخلي عن لغتنا القومية، مما يكسب عقولنا مرونة منهجية قد لا يكتسبها من لا يتقن لغة أجنبية...

ـ ضحك الأستاذ «شكري» وقال: يبدو أنّ بينك وبين الفرنسيين عداوة؟

ـ قلت له: إن العداوة ليست للفرنسيين العاديين وليست للانكليز العاديين، إنّما هي موجهة ضدّ سياسات حكام تلك الأمم.. وعداوتي لمنهج السياسية الأميركية أكبر من عداوتي لمنهج السياسة الفرنسية.. ولكن لماذا تريدني أن أضيّع عمري في إتقان اللغة الفرنسية التي يتجه أهلها الى تعلّم الانكليزية والتكلّم إليها؟ وإذا كنت أريد العلم ومناهجه وتطبيقاته.. فإنّ (٧٠٪) منها مكتوبةٌ، اليوم، باللغة الإنكليزية.. ويعمد الفرنسيون الى ترجمة ما يحتاجون اليه الى لغتهم القومية من جهة ويتعلمون اللغة الانكليزية من

جهة ثانية. . وبذلك فإننا نضمن لأنفسنا الحصول على العلم والحداثة من جهة. . ولا نخسر ذاتنا من جهة ثانية. .

ـ قال «شكري»: أرى أنّك توجه الحوار الى معالجة قضية جديدة لها علاقة بالموضوع. . وهي قضية الحداثة؟.

ـ قلت له: وما المانعُ من معالجة هذه القضية؟.

ـ قال «شكري»: للحداثة دُعاتها. . وسأزورك الأسبوع القادم برفقة محاورين في قضية الحداثة. . أما أنا. . فسأكتفي بالاستماع. .

ـ قلت له: الى اللقاء في الاسبوع المقبل مع صديقيك اللذين يدعوان الى «الحداثة».

١ـ الفصحى و الحداثة [(١)]

ودّعنا الأستاذ «شكري» بعد أن اتفقنا على أن اللغة العربية الفصحى هي لغة العلوم والفنون عند العرب.. بل هي لغة حياتهم، دون أن يعني ذلك رفضنا تعلّم لغة أجنبية واحدة على الأقل.. شرط أن تُؤخذ على أنها لغة أجنبية.. واستقبلنا الصديقين الشاعر «إلياس» والدكتور «ديزيريه»، لنناقش قضية الفصحى و «الحداثة». وقد بادرني الصديق الشاعر بقوله:

ـ ما رأيُ أستاذ العلوم اللغوية بالجامعة اللبنانية بلغة «الحداثة»، اليوم، على صعيد المصطلح والمنهجية؟

ـ أجبت صديقي الشاعر قائلاً: أحبُّ أن أدخل الى مصطلح «الحداثة» من «باب» اللغة نفسها.. لأنّ لفظة «الحداثة» غير مستحبة عند العربي لإرتباطها بمبتدعات أهل الأهواء ومحدثاتهم من الأشياء التي كان السَّلفُ الصالح على غيرها، وفي الحديث الشريف: «إياكم ومحدثات الأمور»، فالمحدثات جمع «مُحْدَثَة» ـ بالفتح ـ وهي ما لم يكن معروفاً في كتاب، ولا سنة، ولا إجماع.. وقد نقل عن الرسول العربي الكريم قوله: «كُلُّ مُحْدَثَة بدعة.. وكل بدعة ضلالة».

فالحدث، يا صديقي، في اللغة العربية، وفي الذهن العربي، هو الأمر الحادث المنكر، الذي ليس بمعتاد ولا معروف.. بل إن العربيّ قد ربط الجهل أو نقص المعرفة بالحداثة.. فحداثة السن.. كناية عن الشباب وأول العمر.. وقد طور الذهنُ العربيُّ معنى الحدث، وذهب به الى معنى المصائب والكوارث والنوازل، فقال: حدثان الدَّهر وحوادثه: نُوبه، وما يحدث منه، واحدة: «حادث»، وكذلك: «أحداث الدهر» واحدها «حدث»..

---

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثانية، العدد ٨٤، السبت ١٩ ذو الحجة ١٤١٢ هـ ـ ٦ حزيران، ١٩٩٢ م، ص: ٥١.

ـ سألني صديقي الشاعر إذا كان مصطلح «الحداثة» هذا قد استمر معناه الأوليُّ، الى يومنا هذا، وقال: وماذا يعني عند مثقفينا المعاصرين؟

ـ فأجبته قائلاً: إن مصطلح «الحداثة»، اليوم، كما يستعمله «المحدَثون» ـ بفتح الدال ـ و «المُحْدِثون» ـ بكسر الدال ـ هو مصطلح غربي.. مُبتدعٌ. مُحدث.. ويعبر عن الواقع الغربي الذي انتجه.. بل هو وليد التطور الصناعي، والزراعي، والسياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والعلمي.. الى آخر ما هنالك من مجالات غربية..

ـ استغرب صديقي الشاعر قولي هذا وقال: أَوَتَقُولُ إنّ مصطلح «الحداثة» كما ـ يطلقه نفرٌ من مثقفينا ـ مصطلح غربيٌّ وغريب، ويعبر عن الواقع الغربي الذي انبثق منه ليس غير؟.

ـ أجبتُهُ: نعم.. وإذا أردنا أن نأتي بهذا المصطلح الغربي الى الواقع الشرقي.. الى المجتمع العربي.. الى العالم الإسلامي.. كنا أمام خيارين لا ثالث لهما..

١ ـ فإمَّا أن نطوّع هذا المصطلح الغربي ونعربه بغية جعله عربياً لفظاً ودلالة ومنهجاً..

٢ ـ وإمَّا أن نلوي عنق الذهن العربي والعربية.. لنستطيع تقبل هذا المصطلح الغريب المحدث.. الطارىء.

وأنت ترى، في الإحتمالين، ابتعاداً عن المنهج العلمي الذي يدّعيه أصحاب مشروع «الحداثة» بأيّ ثمن.. وأنا زعيم بأنّ المصطلحات والمناهج والنتائج لا تكون أصيلة، ومتوهجة، ومفيدة إلاّ إذا انبثقت من المادة المعالجة.. وإلاّ إذا عبرّت تعبيراً علمياً دقيقاً عن الواقع الموضوعيّ، وعن ذهنية أصحاب هذا الواقع، وخصائصهم الفكرية والمادية.

ـ قاطعني صديق الشاعر قائلاً بلهجة تهكمية: مصطلح الحداثة غريب.. مُحدث.. طارىء.. غربيّ.. مُستجلب.. نحن سنبحث، إذاً، عن مشروع

«للحداثة العربية».. ونحلّله.. أليس كذلك..

ـ أجبت صديقي الشاعر بجدّية ومحبة قائلاً: يجب أن ترتبط «الحداثة» العربية ـ عند وجودها ـ بالإنسان العربيّ، الذي يعيش، اليومَ، حالات التغريب على المستويات كلّها.. فهو يعيش حالات التغريب الثقافية، والسياسية والاقتصادية، والمعاشية، والعلمية.. كما يعيش حالة الغربة عن وطنه، والإغتراب عن أرضه.. فنحن، يا صديقي، مهدّدون في أرضنا وذواتنا ووجودنا في كل لحظة.. فإذا أراد الإنسانُ العربيُّ أن «يعيش حياته» كما يريد فلا بدّ من أن تكون له مصطلحات خاصة به.. وأرى أن واجب المثقفين الملتزمين بقضايا أمتهم ينطلقُ من وجوب انبثاق المصطلحات التي يمكن أن نتعامل معها.. وبها.. من حياة الإنسان العربي دون غيره. لنقضيَ على الإزدواجية القاتلة التي يعاني العربُ والمسلمون منها.

ـ قال صديقي الشاعر: هناك، إذاً، ازدواجية بين لغة الذاكرة العربية و «لغة» الواقع العربيّ. حيث يستعمل العربيُّ لغةَ الذاكرة على واقع مختلف.. فتأتي العبارات والألفاظ والمقولات تحمل شكل اللغة، تحمل ألفاظ اللغة ولكنها لا تحمل الدلالات اللغوية التي أوجدت لها هذه الألفاظ.. وإنما تأتي لدلالة على معان جديدة.. وعلى واقع جديد..

ـ تدخل الدكتور «ديزيريه» للمرة الأولى، وقال: لقد ضقتُ بكما ذرعاً،.. وأرى أن نُؤجل المناقشة الى الأسبوع القادم.. فندرس «ظاهرة الإزدواجية» التي تتكلمان عليها.. ونتعرف الى تأثيرها على «الحداثة» العربية، وعلى توصيل النص العربي الحديث.. فما رأيكما؟!

ـ ضحكنا وقلنا معاً: حسناً.. على أن تبدأ أنتَ النقاش.. فإلى الأسبوع المقبل بإذن الله.

٢ ـ الفصحى و الحداثة [1]

ـ بادرنا الدكتور «ديزيريه» قائلاً: لقد وعدتكم أن أبدأ المناقشة هذا الأسبوع.. وسأبدأ بمشكلة «الإزدواجية».. فهل تعتبرُ هذه «الإزدواجية» الناشئة عن «الحداثة» سبباً أساسياً في هذا البعد بين المرسل والنصّ والمتلقي؟ وكيف؟ ولماذا؟

ـ أجبت الدكتور «ديزيريه» قائلاً: إن الإزدواجية التي تتكلّم عليها هي الغربة بعينها.. ولنأخذ اسمك، أيها الصديق الدكتور، مثلاً على ذلك.. لقد أراد أبواك أن يثبتا حداثتهما حين أطلقا عليك اسم «ديزيريه».

ـ قاطعني صديقي بحدّة قائلاً بشيء من الإحتجاج: وأين المشكلةُ في اسمي؟!

ـ قلت له ضاحكاً: اسمع يا صديقي: أنت لبنانيٌّ عربيٌّ.. فيجب أن يكون اسمُكَ لبنانياً عربياً، تستسيغُهُ الأُذُنُ، ولا يخدشُ الذاكرةَ اللبنانية العربية، ولا يتنافرُ مع الذوق اللبناني العربيّ.. لأنّ الناس يطلقون، في كل زمان ومكان، الأسماء التي يظنونها جميلة أو معبّرة على مسمياتهم.. بحيث يدلّ الاسم على مسمّاه..

وأمّا اسمُكَ، يا صديقي، فهو فرنسي اللفظ والمعنى Desiré، وهو صفة، وقد يكون مستساغاً، ومقبولاً في باريس، أو في أيّ بلدة فرنسية.. أمّا إطلاقه في لبنان فهو تغريب فكريٌّ وتغرّب، مع بقاء الجسد لبنانياً عربياً.. والقضية كلّ القضية أن يكون الانسانُ العربي، مثلاً، عربي الروح والاسم والجسد والفكر.. ولو أراد أبواك الإتيان باسم جديد ومقبول من أبناء اللغة العربية لترجما كلمة«Desiré» وسمّياك بـ «المُشْتَهي»، أو «المَرُوم»، أو «المرغوب فيه.» .. فلو فعلاً ذلك لكانا قد حدّثا الاسم

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثانية، العدد ٨٥، السبت ١٩ ذو الحجة ١٤١٢ هـ ـ ٢٠ حزيران، ١٩٩٢ م، ص: ٥١.

فعلاً.. أمّا وقد أبقيا على اللفظة الفرنسية فإنهما قد غرّباك اسماً، ولبنناك جسداً.. وعرّباك فكراً.. فخلقا لك إزدواجية يصعب عليك الخروج منها إلاّ بتغيير اسمك أو بتعريبه...

ـ انفعل صديقي «ديزيريه» كثيراً، وقال لي ـ محاولاً إبعاد الكأس المرة عن فمه ـ وماذا تقول في اسم صديقنا الشاعر «إلياس»؟

ـ ضحكتُ، وقلت له: ان اسم «إلياس» قد ورد في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وإلياسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ سورة الأنعام ٦/ ٨٥، بل ﴿وإنَّ إلياسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ﴾ سورة الصافات ٣٧/ ١٢٣.

وقد اختلفت أقوالُ اللغويين في اسم «إلياسِ»؛

فذهب بعضُهم الى أنّه اسم أجنبي معرّب، وقد يكون من أقدم الأسماء الأعجمية التي عَرّبها العربُ وسمّوا بها، منذ الجاهلية وحتى الآن.

وذهب بعضهم الآخر الى أنّ اسم «إلياس» عربيٌّ البنية والمعنى، ويقولون إنه كان لمضر ابنان أو فرعان، وهما: «إلياس»، «وقيس عيلان»... ولا يخفى على علماء الأنساب أنّ فرع «إلياس» قد تحدّرت منه قبائل عربية أساسية منها: قريش، وهذيل، وتميم، وحنظلة، وأسد، وكنانة، ودارم.. الخ، فهو على هذا اسم عربيّ، بل هو اسم مُغْرِقٌ في عروبته..

ـ قاطعني الشاعر «إلياس»، وقد أطربه الثناء على اسمه الغارق في عروبته وقدمه، وقال لي: لو حاولنا أن ندرس ظاهرة «إزدواجية» لغة الذاكرة العربية ولغة الواقع العربي.. ومدى تأثيرها على الحداثة العربية، وعلى توصيل النص العربي الحديث الى المتلقي.. هل تعتبر هذه «الإزدواجية» سبباً أساسياً في هذا البعد بين المتلقي والنصّ على وجه العموم؟

ـ أجبت صديقي الشاعر: كانت عبقرية العربيّ تتجلى في أنه كان يقرن القول بالفعل.. فعندما كان يقول «سأضرب» كان يضرب في الوقت نفسه، وعندما كان يقول: «سأقاتل»، أو «سأدرس»، كان يفعل ذلك مباشرة، إمّا مع القول، مباشرة وإمّا أن يلي الفعل القول دون فاصل زمني.. ممّا يعني أنّ

قول العربي كان مقترناً بالعمل.. وأنّ عمله كان مقترناً بقوله، لأنّ اللغة، يومذاك، كانت تعبّرُ عن واقع هذا العربي، وتعبّرُ عن أصالته وخصائصه، وعبقريته، وكانت ترسمُ كلَّ ما يختلجُ في صدره، أو يخطرُ في عقله الصافي صفاء الطبيعة نفسها.. وإني أرى أنّ «الإزدواجية» بدأت عندما انتشر العربُ في كل أنحاء المعمورة.. يومها ابتدأوا يبتعدون عن بيئتهم. وأخذوا «يتغربون» عن الواقع الذي نشأوا فيه.. ما سمح بظهور بَون ـ كان يتسع شيئاً فشيئاً ـ بين القول والفعل، الى أن أصبح العربيُّ، اليوم، يقول ولا يفعل.. وقد لا يفعل ولا يقول..

ـ قاطعني صديقي الشاعر قائلاً: وهل تحول هذا المقول، مع الزمن، الى كلّ راكد لا يعني ما يقول، وإنما يلفظ ما يقول.. فيكون الملفوظ، في أحيان كثيرة، هو غير الدلالة؟.

ـ قلت: أظن ان الملفوظ هنا من بقايا الذاكرة الجماعية الموجودة، وأنت تعرف أن اللغة هي قوة، هي ملكة في ذهن كل إنسان، يتوارثها كما يتوارث خصائصه الجسدية وغير الجسدية، وهي تبقى مستمرة.. خذ على سبيل المثال قولهم: «حَيَّاك الله وبيَّاك».. فماذا تعني لك لفظة بيّاك؟.

ـ تدخّل هنا صديقنا الدكتور «ديزيريه» قائلاً: حَيَاكم الله وبيَّاكم.. والى الأسبوع المقبل. لأنني قد تعبت اليوم من هذا التنقّل بين الجاهلية وإرادة والديّ في إطلاق اسم أجنبيّ عليّ..

ـ ضحكنا وقلنا له: إلى اللقاء في الأسبوع القادم إن شاء الله.

٣ـ الفصحى و الحداثة [1]

جاءنا الصديق الدكتور «ديزيريه» دون «تقريع ولا تعويج» ـ أي دون إقامة ـ فإذا هو «عَميان أيمان» ـ أي فاقد الصبر ـ، وقال لنا: «حَيَّاكم اللهُ وبيّاكم».. تحيّة ختمنا بها حديثنا الأسبوع المنصرم.. ونبدأُ بها لقاءنا هذا الأسبوع.. وأنا قد أفهم معنى عبارة «حيّاكَ الله» على أنها: أبقاك حيّاً، أو ملّكك، أو أصلحك، أو قرّبك.. ولكنني لم أفهم «بَيَّاك».د. فماذا يقول استاذ اللغة العربية بالجامعة اللبنانية؟.

ـ قلت له: إنك تشير الى باب في العربية يمارسُهُ العربُ «أجمعون أكتعون أبصعون» ـ أي يمارسه الجميع ـ دون أن يتنبّهوا له.. لولا أن تداركتهم طائفةٌ من النحاة واللغويين بالتنظير له..

ـ قاطعني الدكتور «ديزيريه» مرة ثانية، قائلاً: وما هذا الذي تُشيُر إليه؟ وما تلك اللغةُ التي بدأت تستعملُها، وتضعُها بين «الشولتين المزدوجتين»؟.

ـ ضحكت وقلت له: «باب الإتباع..» أو «باب الإتباع والتأكيد..» وهو، يا صديقي، مبحث جليل، ويتطلب صبراً، ومرونة، ومحبة، ومعرفة.. وإلاّ خَرَجَ الباحث منه وعليه فضلٌ كبير. لأن الإتباع، كما قال الشيخ الجليل ابنُ فارس، في كتابه «الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها» هو أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويّها إشباعاً وتأكيداً.. وروي أن بعض العرب سُئل عن ذلك فقال: «هو شيء نَتِدُ به كلامنا»، أي: نُثبتهُ، فهو من: وتَدَ الرجل الوتد: إذا ثبّته.. وقد أحصى الإمامُ السيوطي، في كتابه «المُزهر»، مئات ألفاظ الإتباع، وجمعها من كتب السّلف الصالح ورواياتهم...

ـ قاطعني الدكتور «ديزيريه»، مرة ثالثة، قائلاً: وهل تلفظت العرب

---

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثانية، العدد ٨٦، السبت ٢٦ ذو الحجة ١٤١٢ هـ ـ ٢٧ حزيران ١٩٩٢ م، ص: ٥٣.

بمئات الكلمات دون معنى محدّد لها؟؟

- أجبته قائلاً: ألم أقل لك إنّ من صفات الباحث الحرّ الصبر والمرونة والمعرفة والمحبة.. وإلاّ خرج وعليه فضل كبير؟ لذلك أرجوك لا تكن «ضَيقاً ليّقاً عيّقاً».

وجم صديقي الدكتور «ديزيريه»، لأنه لم يفهم كلّ كلامي، وتظاهر بالمعرفة، وهز رأسه هزّة يعرفها الأساتذة الحذقون عندما يلقون بأسئلتهم على طلابهم.. ونظر إليّ نظرة العارف، وقال: لكنك قلت قبل قليل: «باب الإتباع.. أو باب الإتباع والتأكيد..» فما القضية؟؟

- قلت: ظنَّ بعضُ الناس أن ألفاظ الإتباع لا معنى لها.. والحق يقال أن التابع يفيد معنى التقوية، لأن العرب لم تضعه سُدَى، فهو يأتي على زِنة المتبوع أو رويّه إشباعاً، ويفيد التقوية والتأكيد، بينما يفيد التأكيد معنى التقوية، ولا يشترط في الموكِّد - بكسر الكاف المشدّدة - أن يكون على زنة الموكَّد - بفتح الكاف المشددة - وينفي احتمال المجاز...

فألفاظ الإتباع، إذاً، ليست دون معنى.. وليست حشواً، يستطيعُ المتكلمُ حذفها من الكلام دون أن يختلَّ المعنى.. وليست ثرثرةً يتلفظُ بها المتشدّقون أو بلهاء الأمة.. إنمّا هي ألفاظ تدخل في التأكيد بالتكرار اللفظيّ مرة، نحو: قرأت قرآناً قرآناً.. وبتغيير صوت واحد حيناً آخر كراهية التكرار، وتحسينها للأصوات كي لا تمجّها الأذن مرة ثانية..

- صرخ الدكتور «ديزيريه» قائلاً: ولكنك لم تقل لي حتى الآن ما معنى «بيّاك»؟

- قلت: لاحظ قولهم: «حَيّاك اللهُ وبيّاك».. فَـ «بَيّاك» معطوفة على «حَيّاك» بواو العطف، ممّا يعني، عند بعض اللغويين، أنّها ليست من ألفاظ الإتباع التي تأتي متتابعة دون فاصل.. وأرى أن معنى «بيّاك» قد يكون: «بوّأك منزلاً سامياً..» وقال بعض اللغويين: أضحكك، أو عجّل لك ما تحبُ، أو قصدك واعتمدك بالمُلك والتحية..

وأنا أذهب الى أن معنى «بيّاك» قد يكون المعنى الأول: أي: بوّاك منزلاً سامياً، أو جعلك «بَيّاً» في قومك: أي قرّبك، ونذهب مذهب **الشيخ عبد الله العلايلي** في أنّ «بيا» قد دخله القلب المكاني، وَأَصْلهُ «أبّى»، أي: فدّاه بالآباء، ثم جرى مجازاً بمعنى التقريب في «وَدَّ».

ويقوي ما نذهب اليه أن معنى «الباء» قد يكون الدلالة على بلوغ المعنى في الشيء بلوغاً تاماً، والدلالة على القوام الصّلب بالتفعل، وأن معنى «الياء» قد يكون الدلالة على الإنفعال المؤثّر في البواطن. وهكذا ترى، يا صديقي، أنّ الحداثة ليست في نبذ الكلمات... وإطلاق الاحكام دون روية.. ولكنها الغوص الواعي - بعد التسلح بعدة البحث - في التراث، لفهمه.. واستخراج لآلئه..

- تنفس الدكتور «ديزيريه» الصّعداء، وقال لي: هل تحدّثنا عن الإتباع حديثاً عصرياً.. وتنقلنا من التراث الى المعقول المعاصر؟

- تدخل الشاعر «إلياس»، قائلاً: لقد ذهبتم بالحديث «شَذَرَ مَذَرَ بَذَر»، بحيث ظهر كل منكما على أنه «صَيِّرٌ شيِّرٌ» - أي حسن الصورة.. حسن الثياب - ولكنني أريد أن أرتاح حتى الأسبوع المقبل، لنستطيع متابعة البحث في قضية «الفصحى» و «الحداثة».. فما قولكما؟

- ضحكتُ وقلت له: «حَسَنٌ بَسَنٌ قَسَنٌ..»

٤ ـ الفصحى و الحداثة [(١)]

بدأ صديقي الشاعر «إلياس» النقاش هذا الأسبوع قائلاً: «إنه يرى أن النصوص الحديثة استعملت مفهومات «ماضوية» عن طريق استعمالها الأسطورة، ومفهومات «حداثوية»، وذلك باستيراد المعرفة، لأن العربيّ اضطر الى أن يعيش الواقع الحاضر على صعيد «التكنولوجيا».. ولكنه عاش، في الوقت نفسه، ماضيه القديم، وبطريقة غير منطقية.. إنه يطبّق الواقع القديم بدلالات يتركها تعمل عملها في واقع حادث على صعيد «التكنولوجيا»، والاقتصاد والحياة.. ويزعم، في النهاية، أنه «حداثوي»!.

ـ قلت لصديقي الشاعر إنّ هذا الزعم يذكّرني ببعض الدول الإسلامية التي زعمت ـ أو هكذا خُيل الى ساستها ـ أنها أوروبية... ففرضت على الرجال إعتمارَ القبعة الغربية.. وأجبرت النساء على ترك الحجاب والخروج سافرات، ظناً من هؤلاء السّاسة أن اعتمار القبعة والسفور يعنيان الحداثة والتطور والتقدم.. فكأننا لو ألبسنا متخلفاً عقلياً لباس المدنية الحديثة ينقلب عاقلاً متطوراً وحديثاً..!!.

ـ قاطعني الشاعر إلياس قائلاً: وعلى الصعيد اللغوي؟!.

ـ قلت: إن اللبنانيين والعرب والمسلمين يمتلكون تراثاً لغوياً قد يكون أغنى تراث لغوي في العالم.. وهذه اللغة لا تزال تتحكم في منهجية تفكيرنا.. وفي آلية هذا التفكير، لأن اللغة ليست وسيلة اتصال فقط.. إنّما هي مؤسسة اجتماعية تتحكم في طريقة تفكيرنا.. وتُسْهِمُ، في كلّ لحظة، في «إعادة خلق» الإنسان الذي ألهمه الله القدرة على وضعها.. فاللغة لا تتطوّر إلا إذا تطوّر صاحبُها، والناطقُ بها..

وأنت تعرف أَنّ الإنسانَ، في لبنان وفي البلاد العربية والاسلامية، غيرُ

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثانية، العدد ٨٨، السبت ١١ محرم ١٤١٣ هـ ـ ١١ تموز ١٩٩٢ م، ص: ٥٦.

متروكٍ.. بل نراه يخضعُ يومياً لموجات من الدعايات التي تبلبل تفكيره، وتُسْهِمُ في تغريبه، حتى يسهل إقتلاعه من نفسه ومن ذاته أولاً.. لأنك إذا اقتلعت الإنسانَ، من أرضه فإنه سيحاول العودة اليها، وسيقاومُ هذا الطرح فكرياً ومادياً.. وبالسلاح.. وقد يستطيع العودة.. ولكنك إذا اقتلعت الإنسان من نفسه وذاته وفكره.. فإنك تكون بذلك قد حولته الى آلة صماء.. تستطيع التلاعب بها أنّى تشاء.. وكيف تشاء.. ومتى تشاء!.

قال الأستاذ الشاعر «إلياس»: من ذا الذي يريدُ اقتلاع الإنسان العربيّ من ذاته؟ إن أساتذة الجامعة هم: بظني، قمة النخبة العربية المثقفة، يعملون في الجامعة، ويوجِّهون على صعيد البرامج.. ويتحولون، فيما بعد، الى وسائل الإعلام، والصحافة ويتحولون الى موجهين.. فمرشدين.. فمنظرين.. ثم يصيرون أدوات بيد السلطة، سواءٌ أكانت سلطة ثقافية أم سياسية.. ونحن نتكلمُ على الإنسان العربيّ في لبنان، وعلى علاقته بالحداثة.. ونترك الكلام على الإنسان غير اللبناني للمتخصّصين في تلك الجغرافيا.. إننا نأخذ بالرأي القائل بالعودة باللغة الى «درجة الصفر في الكتابة»، حيث تحول النص المتلفظ الى نصّ مكتوب على أساس قواعد لغوية محدّدة.. ثم يتحوّل الى كتابة متطوّرة حسب المطلوب اليومي.. مما يعني استئصالاً للزوائد المعرفية.. ولما علق في الذاكرة.. فتصبح اللغة قادرة على تغيير الواقع.. مع الأراء اللبنانية والعربية التي عالجت هذا الموضوع؟.

ـ أجبت صديقي الشاعر قائلاً: قد يكون المفكرون في لبنان الوحيدين الذين يتمتّعون بحرية القول، وحرية المناقشة، وحرية التلفظ، أمام السلطة، بنعم أو لا.. وأنت تعرف أن هذه الـ (لا) أو الـ «نعم» كانت تكلّفُ اللبنانيَّ ثمناً غالياً جداً.. وهي ميزة وجدنا أنفسنا نتمتع بها.. أو هكذا خلقنا الله.. فنحن لا نستبدل بحريتنا أيَّ ثمن.. مما يفرض علينا مسؤولية تغيير الواقع وتطويره باستمرار، بل ويفرض علينا مهمة مساعدة الآخرين على التطور والتطوير..

أنت تعرف، مثلاً، أنّ فكرة القومية العربية ـ بغض النظر عن رأينا فيها ـ

قد نشأت في لبنان.. بل إن إحياء استعمال اللغة العربية الفصحى قد نشأ في لبنان.. فأسهمنا في نشر الفصحى وفي تعميم القومية يوم كان الآخرون يغطّون في نوم عميق.. أو لا يستطيعون تلمس طريق الحرية والخلاص..

ولكنني، يا صديقي، أميّزُ تمييزاً دقيقاً وواضحاً اللغة العربية كما ينطق بها أصحابها من قواعد اللغة العربية.. وأنت تلاحظ أنني متعصب عندما يتعلّق الأمرُ بخصائص اللغة العربية وعبقريتها وسننها. ولا أقبل أن تُمَسَّ هذه الخصائص: لأن هذه اللغة الأداة قادرة على أن تفي بشرط الحرية، وبغرضَيِ التعبير والتغيير.. ولكنني لا أَنْظُرُ، في الوقت نفسه، الى قواعد اللغة كما استنبطها الأجداد ـ بقداسة، لأنهم بَنَوا قواعدهم في الأغلب الأعمّ، على استقراء ناقص.. وعلى اجتهادات شخصية رائعة.

فاللغةُ شيءٌ.. وقواعدُ اللغة التي دُوّنت في الكتب شيءٌ آخر..

ـ قال صديقي الشاعر: أأنت مع القواعد التوليدية؟ وقبل أن تجيبني أقترح تأجيل النقاش الى الأسبوع القادم بإذن الله.. فإلى اللقاء.

٥ ـ الفصحى و الحداثة [1]

بادرني صديقي الشاعر «إلياس» بتكرار سؤاله الماضي، قائلاً:

ـ أأنت مع القواعد التوليدية؟.

ـ قلت: القواعد التوليدية موجودة..

ـ قاطعني «إلياس» بقوله... مع نظرية «تشومسكي»؟؟

ـ قلت: قبل الإجابة عن السؤال بـ (نعم) أو (لا)، أريد أن ننظر أولاً معاً الى القواعد التوليدية.. والقواعد التحويلية.. وعلاقة الأولى بالثانية، لأن كثيراً من الناس لا يميزون الأولى من الثانية.. بل ولا يعرفون عنهما شيئاً.. اللهم إلا قول بعضهم.. «القواعد التوليدية التحويلية هي ثورة لغوية..»

ـ ستتكلم، أولاً، على القواعد التحويلية كما أظن قال «إلياس»؟.

ـ نعم.. القواعد التحويلية هي القواعد التي تعطي لكل جملة في اللغة تركيباً باطنياً وآخر ظاهرياً، وتربط بين التركيبين بنظام خاص، لأن وصف العلاقة بين التركيب الباطني والتركيب الظاهري يسمّى تحويلاً.. أو قانوناً تحويلياً..

ـ فالتركيب الظاهريّ للجملة حقيقة فيزيائية ملموسة ونستعمله إذا تكلمنا أو كتبنا..

ـ والتركيب الباطني للجملة يعطيها المعنى الأساسي.. وهو تركيب مجرد، وفرضي، ويتوقف عليه معنى الجملة وتركيبها بعد أن تصبح تركيباً ظاهرياً..

---

(١) مجلة البلاد، السنة الثانية، العدد ٨٩، السبت ١٨ محرم ١٤١٣ هـ ـ ١٨ تموز ١٩٩٢ م، ص: ٥٦.

ـ هل تكلّمنا على قوانين القواعد التحويلية؟.

ـ نعم.. ألاَ فاْعلم أن للقواعد التحويلية أربعة قوانين، وهي:.

١ ـ قوانين التركيب الأساسي، أو قوانين التركيب الباطني، وقد سبق الكلام عليها.

٢ ـ قوانين «مفرداتية» يتمّ بواسطتها وصف مفردات اللغة معنىً ومبنىً.

٣ ـ قوانين تحويلية، يتمّ بواسطتها تحويل التراكيب الباطنية الى التراكيب ظاهرية.

٤ ـ قوانين «مورفيميّة» صوتية، وهي التي تضع الكلمات الموجودة في التركيب الظاهرية بصيغتها الصوتية النهائية..

ـ قال الشاعر «إلياس»، وما القواعد التوليدية؟.

ـ قلت: القواعد التوليدية هي نظام من القوانين تتعهد وصف تركيب جمل لغة ما وصفاً واضحاً.. فيكون هذا الوضوح هو مزية هذه القواعد.

ـ وسألني «إلياس»، مقاطعاً: هل يُقْصَدُ بالتوليد إنتاج الجمل إنتاجاً مادياً؟.

ـ قلت: لا.. إنما يقصد بالتوليد القدرة الذاتية على تمييز الجمل الصحيحة من الجمل غير الصحيحة، لأن وضوح القواعد التوليدية لا يترك للمتلقي أموراً غامضة ضمنية..

ـ وهل نستطيع القول إنّ القواعد التوليدية هي قواعد تحويلية؟!.

ـ قلت: لا.. إن كلامي السابق لا يعني أبداً أن كل قواعد توليدية هي بالضرورة قواعد تحويلية.

ولكنني أحب أن أنبّهك الى أن العكس صحيح.. فكل قواعد تحويلية هي قواعد توليدية؛ لأن جميع فرضيات القواعد التحويلية ـ وخاصة نظرية تشومسكي وأتباعه ـ تصف جمل اللغة وصفاً واضحاً ومتسلسلاً..

ـ قال «إلياس» الشاعر، وقد بدت على وجهه علامات الإرباك: وهل هذه الفرضيات موجودة في قواعد العربية؟.

ـ قلت: نعم.. إن قواعد اللغة العربية تتضمن قوانين القواعد التحويلية، ودون أن يعني ذلك أنها موجودة كما رسمها تشومسكي وأتباعه.. وهي موجودة في ذهني وفي ذهن كلّ متكلم باللغة العربية. إنّما يختلف الناس.. ـ أو يتفاضل الناس ـ في الكفاءة اللغوية.. لأن الناس يتفاوتون في طريقة التعبير، وفي القدرة على التعبير.. مَثَلُهُم في ذلك مَثَلُ لاعبي «الشطرنج».. فقواعد اللعبة معروفة من اللاعبين جميعاً.. والأحجار معدودة ومتساوية.. والوقت متساو.. ومع ذلك يتغلّبُ لاعبٌ على آخر، نتيجة تمرّسه الطبيعي بنماذج هذه اللّعبة.. أو إذاً انتقلنا الى اللغة بنماذج اللسان، لذلك ترى الناسَ، في كل لغات العالم، يُنتجون جملاً لا نهاية لعددها دون أن يتكلّم بها من قبل.. فيفهمها المتلقي دون أن يكون قد سمعها من قبل..

فالعلة، يا صديقي، إذاً، ليست في قواعد اللغة.. وليست في اللغة العربية.. بل في أبناء هذه اللغة أو تلك إذا لم يستطيعوا تكسير «القوالب الجامدة» التي تتحكم، أحياناً، بغير المبدعين..

وإلى الاسبوع المقبل بإذن الله

٦ ـ الفصحى و الحداثة [1]

بادرني الصديق الشاعر «إلياس» بعد تلخيصي للقواعد التحويلية ـ التوليدية بقوله: أنت، إذاً، مع قواعد توليدية جديدة للنصوص الحديثة، لأنه يجب تطوير القواعد القديمة وجعلها ملائمة للواقع اليومي من جهة، ولأنه يجب كسر الزائد من «الذاكرة اللغوية» الذي لا تستعمله «اللغة اليومية» من جهة ثانية، ليسهل إدخال هذه «اللغة» الى عالمنا، ولتستجيب لمتطلباتنا..

ـ قلت لصديقي الشاعر: القواعد التحويلية ـ التوليدية موجودة في النحو العربي دون أن يعني ذلك أن النحو العربي تحويلي ـ توليدي بالمفهوم «التشوسكي»، لأن لكلّ لغة خصائصها ومميزاتها.. وأنا، يا صديقي، لست مع «تكسير» القواعد، لأنني أرى أن قواعد اللغة العربية ـ كما وصلتنا ـ قد أسهمت في صيانة هذه اللغة، التي استطاعت أن تعيش منذ ألف وخمسمئة سنة على الأقل حتى الآن.

ـ قاطعني الشاعر «إلياس» قائلاً: «ولكنها جعلتها في مطلق عربي لغوي فيما وراء عربي...».

ـ قلت: تأتي، هنا، مسؤولية العربيّ.. إنني أظن أننا نخلط الآن، بين مستويين؛

ـ مستوى إلقاء المسؤولية على اللغة العربية أو على اللسان العربيّ.

ـ ومستوى إلقاء المسؤولية على العربيّ صاحب هذه اللغة.. وأنا أجنح جنوحاً قوياً الى أن ألقي بالمسؤولية على العربي.. هذا العربي بين يديه كنزٌ لا يُحسن استعماله.. بل هو غير قادر على استخدامه، لأنه متغرّبٌ عن واقعه الذي يعيش فيه..

---

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثانية، العدد ٩٠، السبت ٢٥ محرم ١٤١٣ هـ ـ ٢٥ تموز ١٩٩٢ م، ص: ٥١.

ـ قاطعني صديقي «إلياس» مرة جديدة قائلاً: وعلى مستوى الإبداع؟.

ـ قلت: أمّا «على مستوى الإبداع» فلا أظن أن قواعد العربية قد منعت المبدعين من الإبداع..

ـ المتنبي استعمل اللغة العربية وفق قواعد اللغة العربية الضمنية الكامنة فيها وكان مبدعاً.

ـ أبو تمام استعمل اللغة العربية وفق قواعد اللغة العربية الضمنية الكامنة فيها، ولم يخرج عليها.. إنما خرج على عمود الشعر.. ومع ذلك كان مبدعاً..

ـ النصوص الجاهلية كلّها إبداع.. ولم تخرج على قواعد اللغة الضمّنية، وكانت تعبر عن حاجات العربي المادية والمعنوية.. أحسن تعبير..

فإذا استطعنا، الآن، أن نعبّر عن حاجاتنا المادية والمعنوية باللغة العربية، كما وصلتنا، أي دون أن نخرج على قواعدها الضمنيّة الكامنة فيها، والتي استنبطها النحاة.. أو استنبطوا بعضها بشكلٍ أو بآخر.. أو ـ إذا شئت ـ دون نخرج على اللغة وخصائصها وسننها كما استعملها العربي، فإننا نكون مبدعين.

أما إذا حاولنا التعبير عن واقعنا الراهن ـ وهو واقع مهزوزٌ وغيرُ مستقرّ ـ بلغة غير لغتنا.. واتبعنا في ذلك قواعد تخالف قواعدنا فإننا سنقع في هاوية لا نستطيع النهوض منها أبداً..

ـ قال صديقي الشاعر قائلاً: أنت، إذاً، مع النظرية القائلة إنّ اللغة يجب أن تتطور حتى في قواعدها.. ويجب أن تتطور حسب إيقاعية عصرها.. أنا لا أقول بأن نقتل قداسة اللغة.. ولكني أقول أن نطوّر هذه القداسة الى واقع..

ـ قلت: اللغة ليست بحاجة الى تطوير.. وأنا أقول لك حقيقة علمية

ليست من عندي.. حقيقة يقولها العالم اللغوي «فردينان دي سوسير»، وهي: ان اللغة تتطوّر في كل لحظة يتكلّمُ فيها أيُّ إنسان في أيّ مكان..

ـ فَرِحَ صديقي «إلياس» وقال: هذا ما أريدُ.. هذا ما أريد..

ـ قلت: **اللغة تتطوّرُ مستقلةً عن إرادة أبنائها**.. وأنا، يا صديقي، لا أخفي عنك خوفي من مصطلح **«التطوير» أو «تطوير اللغة»**، لأن كلمة **«تطوير» على وزن «تفعيل»**، أي أنّها تحمل إرادة المُطوِّر أو المُفَعِّل، والذي:

ـ قد يكون عالِماً كما قد يكون جاهلاً؛

ـ وقد يكون عالماً مخلصاً، أو غير مخلصٍ..

ـ وقد يكون جاهلاً مخلصاً أو غير مخلصٍ..

فأنا، كما تلاحظ، ضد عملية التطوير الخارجية.. ولكنني لا أنكر عملية تطوّر اللغة تطوراً طبيعياً.. فاللغة ليست بحاجة لي أو لك كي تتطور.. ففي كل لحظة يتكلّم فيها إنسان باللغة العربية الفصحى في مشارق الأرض أو مغاربها.. تتطور هذه اللغة صوتياً وصرفياً وتركيبياً ودلالياً وأسلوبياً.. لكن هذا التطور تطورٌ بطيءٌ جداً، لا يستطيعُ الإنسانُ المعاصرُ له أن يلمسه أو يلحظه..

فأنا، إذاً، مع تطور اللغة الطبيعي.. وضد «تطوير» اللغة الذي يأتي من الخارج حاملاً إرادة المطوّر.

٧ ـ الفصحى و الحداثة [1]

سألنا صديقنا الشاعر «إلياس» عن رأينا بمسألة «العودة بالكتابة الى درجة الصفر».. ثم قال للدكتور «ديزيريه»: ما معنى الكلام على نصوص «حداثوية» عربية، أُنتجت، أو لا يزال بَعْضُها يُنْتَجُ حتى الآن؟.

ـ أجاب الدكتور «ديزيريه» قائلاً: اللغة ليست مجرد «تواضع»، كما يقال، لأنّ كل لغة «تواضع»، وقواعد.. ولكن القواعد تنطبق على زمن وقد لا تنطبق على زمن آخر.. ولذلك أرى أن قواعد اللغة العربية تحتاج الى إعادة نظر جذرية، لأن هذه القواعد قد بُنيت، أساساً، على نظرية «العامل» و «المعمول».. وهي نظرية قابلة للجدل.

ـ ما الذي يدعونا، مثلاً، الى اعتبار المنادى مفعولاً لفعل محذوف؟!.

ـ ولماذا لا تكون (يا) الندائية عاملةً النصب، في المنادى؟!.

أمّا عندما نستعملُ اللغةَ فإنّ الأمر يختلف كثيراً؛ لأننا قد ننحرف بالكلمة انحرافاً كبيراً، فتتشكّلُ لها ذاكرةٌ جديدة.. فنمسُّ، هنا، ما تسميه «درجة الصفر»، بمعنى أننا قد «نناشد» الذاكرة، أحياناً، لكي ندخل الكلمة في حقل دلالة جديد، يختلف أساساً عمّا وُضِعَ له.. فلا تعود اللغة، هنا تواضعاً.. ولكن القواعد الأساسية تبقى صالحة للكتابة. كالرفع والنصب والجر ـ على ألا نتقعّر في هذه القواعد..

فمستوى «الإنحراف» أو «الإنزياح» ـ كما يسميه بعضهم ـ هو ما يحدّد ـ بنظري ـ درجة الشعرية للكتابة في داخل النص..

ـ ثم وجه الشاعر «إلياس» السؤال نفسه الي.. قائلاً: والدكتور (عصام نور الدين) ماذا يقول؟!

---

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثانية، العدد ٩١، ١/٨/١٩٩٢، ص: ٥٦.

ـ أجبتُ قائلاً: يبدو أن صديقي الدكتور قد طرح قضايا عدّة للنقاش، منها:

ـ أولاً: هل تصلح قواعد اللغة العربية لزمن ثم لا تصلح لزمن آخر؟.

ـ قاطعني صديقي الشاعر قائلاً: لكن من أين جاءت هذه القواعد أولاً؟.

ـ قلت: أنتم تعرفون معرفة أكيدة أن قواعد اللغة العربية قد بُنيت على استقراء النصوص العربية استقراءً ناقصاً.. في أمكنة حدّدها علماء اللغة العرب بدقة متناهية.. بل وحدّدوا الزمن، أيضاً، تحديداً دقيقاً، قائلين إنَّ النصوص النثرية التي سبقت القرآن بقرن ونصف لا تزال صالحة للتقعيد.. وكذلك النصوص التي جاءت بعده بقرن ونصف.. ثم قسموا النصوص النثرية التي قيلت بعد هذه القرون الثلاثة قسمين:

١ ـ الأول هو المنقول عن أهل البادية، فاعتبره أجدادُنا ـ كابن جني ـ حجة ويستشهد به في كلّ مستويات الدرس اللغوي.. شرط ألا تكون العجمةُ قد غزت هؤلاء البدو.

٢ ـ والثاني هو المنقول عن أهل الحضر.. وهو ليس بحجة عند اللغويين العرب، وإن كان ابن جني يقول إنّه لا يتحرج عن الأخذ عنهم إذا أيقن أنهم باقون على فصاحتهم وأصالتهم.

وأما النصوص الشعرية فإن علماء اللغة العرب قد اعتبروا النصوص الشعرية الجاهلية والإسلامية الممتدّة حتى أوائل الدولة العباسية نصوصاً صالحة للتقعيد، ويروي الرواة أن (سيبويه) رفض الاستشهاد بشعر بشار بن برد)، فهجاه بقوله:

اسيبويهِ يا ابن الفارسية ما الذي
تحدثت في شتمي وما كنت تنبذُ
أَظَلْتَ تُغَنّي سادراً بَمَسَاءتِي
وَأمُّك بالمصرين تُعطي وَتأخذُ

فاضطر (سيبويه) الى ذكر بعض شعر (بشار) استئناساً.. وليس استشهاداً.. ويُجْمِعُ اللغويون على أن آخر شاعر يستشهد بشعره هو (ابراهيم بن هرمة)، المولود سنة ٩٠ هجرية (٧٠٨ ميلادية). والمتوفى في (المدينة)، دون أن يعلم تاريخ وفاته.

ـ قاطعني صديقي (إلياس) قائلاً: هذا حسب زمنية التدوين...

ـ تابعت قائلاً: هذه الزمنية التي تفرّون منها هي حقيقة في علم اللغة، ويتكلم عليها، اليوم، علماء اللغة، تحت عنوان «النقاء اللغوي» عند هذه الجماعة اللغوية أو تلك.. ومن هنا نشأت، عند علماء اللغة المحدثين، نظرية (الرّاوي) اللغوي، أو (المخبر) اللغوي (Informant)، والذي يستطيع تمثيل جماعته اللغوية تمثيلاً صحيحاً ودقيقاً...

ـ قاطعني صديقي الشاعر قائلاً: «توقيعات هذه النصوص كانت توقيعات للواقع يومذاك؟.

ـ قلت: نعم.. وستعلم علمنا في الأسبوع المقبل إن شاء الله[1].

---

(١) هنا انقطع الحوار.. ولم يشأ الله لنا أن نجتمع بعد ذلك لنكمل النقاش في قضية الفصحى «الحداثة».. وأطوي هذه القضيّة وفي نفسي الكثير الكثير ممّا يمكن أن أقوله.

تمييز الصواب من الخطأ[1]

لاحظتُ أن عدداً من الكتاب، والمثقفين، وأساتذة الجامعات، وطلاب الدراسات العليا، والمذيعين يقولون: «ميزت الشيء عن الشيء» بدل أن يقولوا: «ميزت الشيء من الشيء»، وهذا خطأ لغويّ فاحش، لأن «المَيْز» هو: التمييز بين الأشياء، تقول:

- مَيَّزْتُ الشيءَ من الشيء فأنا أميزُه ميْزاً، وقد أمزت بعض الشيء من بعض: إذا عَزَلْتُه وفَرزْتُه وفصلتُ بعضه من بعض.

- ميزت الشيء من الشيء تمييزاً فانْمازَ.

- ويقولون، أيضاً تَمَيَّزَ، وأمّازَ، واسْتمازَ... كلّه بمعنى، إلاّ أنهم إذا قالوا: «مزتُه من بعضه فلم ينمَز» لا يقولون «ميزته من بعضه فلم يتميّز».

وقد ميّز التنزيلُ العزيزُ الخبيثَ من الطيب، بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ المُؤمِنينَ عَلَى مَا أَنْتُم عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبيثَ من الطَّيِّبِ﴾ سورة آل عمران ٣/ ١٧٩ ـ وبقوله تعالى: ﴿والذينَ كَفَرُوا إلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُون (٣٦) لِيَمِيزَ اللهُ الخَبيثَ من الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الخَبيثَ بَعْضَهُ على بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جميعاً فَيَجْعَلَهُ في جَهَنَّمَ﴾ ـ سورة الأنفال ٨/ ٣٦ ـ ٣٧.

قُرِىء قولُه تعالى: .

أ ـ يَمِيزُ ـ بالتخفيف ـ من مَازَ يَميزُ، وهي قراءة **أهل الحجاز، والشام، وابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبي عمرو، وابن عامر** .

ب ـ **يُمَيِّزُ** ـ بالتشديد وضم الياء الأولى ـ وهي قراءة **حَمْزَةٌ والكسائي** .

فمازَ يميزُ، ومَيَّزَ يُميِّزُ. فعلان متعديان، يتعدى كلُّ فعلٍ منهما الى مفعول به واحد.. والتضعيف في (مَيَّزَ) ليس للتعدي والنقل... وإنّما هما لغتان في معنى واحد.

---

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثانية، العدد ٩٢، ٨/٨/١٩٩٢، ص: ٥٤.

وقد حاول بعضُ المفسرينَ والقراء واللغويين تمييز «مَيّزَ يُمَيِّزُ» من «مَازَ يَمِيزُ» بقولهم إنّ التشديد أو التضعيف في «يُمَيِّز» لا يكون إلا كثيراً من كثير، فأمّا الواحد من الواحد فلا يكون إلا بالتخفيف (يَمِيزُ)، بمعنى يعزل؛ لأنّ العربَ أكثرُ استعمالاً للمشدّد أو للمضعّف من غير المشدّد أو المضعّف، وذلك أنّهم وضعوا مصدر هذا الفعل على معنى التشديد أو التضعيف، فقالوا «التَّمييز»، لم يقولوا: «المَيْز»، فدلّ استعمالهم المصدر على بِنيةِ التشديد أو التضعيف.

ويلاحظُ القارىءُ أن حرف الجر (من) هو حرفٌ داخلٌ على ثاني المتضادين «يميز الخبيث من الطيّب»، ويُمَيِّزُ «الصواب» من «الخطأ»، وقد تنبه العرب الى ذلك فميّزوا هذا الاستعمال لحرف الجرّ بين المتضادين، كقول **الإمام علي بن أبي طالب**: «ثم اختبرَ (الله) ملائكَتَهُ المقرّبين، ليَميزَ المتواضعين منهم من المستكبرين «الخطبة ١٩٢، الفقرة الثانية» ميّزوه من اسعمال آخر، وهو قولهم: استمازَ الرجل عن الشيء: تباعد عنه، وفي حديث **إبراهيم النخعيّ**: استماز رجلٌ عن رجل به بلاءٌ فابتلي به؛ أي انفصل عنه وتباعد، وفي حديث **ابن عمر**: انه كان إذا صلّى ينمازُ عن مُصلّاه فيركع؛ أي يتحول عن مقامه الذي صلّى فيه، فـ (امتازوا) بلغة قريش: اعتزلوا، ومنه قوله تعالى: **﴿وامتازوا، اليوم، أيها المجرمون﴾** سورة يس ٣٦/ ٥٩؛ أي تميّزوا، واعتزلوا، وانفردوا، وابتعدوا عن المؤمنين.

ومن معاني (التميّز): التقطع، قال تعالى يصف جهنم: **﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فيها فَوْجٌ سألهم خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾** سورة الملك ٦٧/ ٨ أي تكادُ جهنم تتقطع من شدة وتفرّق.

إنّ الكلام على «يَميزُ الرجل والشيء من الشيء، ويميِّزُهُ منه» يقودنا الى تمييز «مِنْ»، وهو حرف جرّ يدخل على ثاني المتضادّين المتباينين، سواءٌ أكان الفعل (مَازَ ومَيَّزَ) أم «علم» كقوله تعالى: **﴿واللهُ يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنَ المُصْلِحِ﴾** سورة البقرة ٢/ ٢٢٠ ـ وقد يدخل على المتباينين غير المتضادين،

كقولك: لا يُعرف محمد من أحمد.. نُمَيِّزُ هذا الحرف بهذا المعنى.. من بقية المعاني فنميز الصواب من الخطأ.

وجوب كسر همزة «إنَّ»[1]

سمعتُ غيرَ واحدٍ من أساتذة الجامعات والكتاب والخطباء يَكْسِرُ همزة «إنَّ» حيثُ يجبُ فَتْحُهَا، وَيَفْتَحُهَا حيثُ يجبُ كَسْرُها.. ولا يأبهُ أحدُهم بفساد المعنى، ولا يلتفت الى مخالفةِ قواعد اللغة العربية؛ لغة القرآن الكريم.. ولا يُكَلِّفُ نفسَهُ عناءَ البحث عن هذه القضية في كتب النحو واللغة، وهي مبسوطةٌ هناك، وتنتظرُ من يَدْرُسُها، وَيُخْرِجُها لنفسه أولاً، وللناس ثانياً.. وكأنني بهم قَد أصابهم خَدَرُ الكسل. فناموا على جهلهم حالمين..

وَاعْلَمْ، عزيزي القارىء، أنّ لـ «أنّ» ثلاثَ حالات، وهي:

١ ـ وجوب الكسر.

٢ـ وجوب الفتح.

٣ ـ جواز الكسر والفتح.

* * *

وجوب الكسر.

تُكسَرُ همزةُ (إنَّ) وجوباً في عشرة مواضع، حيث لا يجوزُ أن يَسُدَّ، المصدرُ مَسَدَّها ومَسَدَّ معموليها، وهي:

أوّلاً ـ إذا وقعت (إنَّ) في ابتداء الكلام، أي في ابتداء الجملة، سواء أكان هذا الابتداء.

أ ـ حقيقة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإسلامُ﴾ سورة آل عمران ٣/ ١٩، وكقولنا: «إنّ زيداً قَائِمٌ».

---

(١) مجلة البلاد البيروتية، العدد ٩٣، السبت ١٦ صفر ١٤١٣ هـ ـ ١٥ آب ١٩٩٢ م، ص: ٥٠.

ب ـ أم حكماً، وذلك كـ «إنَّ» الواقعة بعد:

١ ـ حرف استفتاح وتنبيه، مثل «ألاَ»، كقوله تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عليهم ولا هُم يَحْزَنُونَ﴾ سورة يونس ٦٢/١٠، وكقوله تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّهُم هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة ١٣/٢.

فـ «ألاَ» ـ بفتح الهمزة والتخفيف ـ حرفُ استفتاح للتنبيه، وتدل على تحقُّق ما بعدها. وإفادتها التحقيق من جهة تركيبها من الهمزة و «لاَ». وهمزة الإستفهام إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق.

٢ ـ (أَمَا) ـ المخفَّفة الميم ـ، كقولك: «أَمَا إنِّي ناجِحٌ»، و: «أَمَا إنَّكَ فَصِيحٌ»: لأن (أما) ـ هنا ـ حرف استفتاح..

٣ ـ حرف جواب، كقولك... نَعَم إنَّك نَاجحٌ.

ـ حرف ردع، كقوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنْسانَ لَيَطْغَى﴾ سورة العلق ٦/٩٦.

فـ: «كَلاَّ»، هنا، حرفُ رَدْعٍ، وقد تكون بمعنى «ألاَ» التي يُسْتَفْتَحُ بها الكلامُ.

٤ ـ «حتَّى» الإبتدائية، كقولك: «دَرَسْتُ النحو حَتَّى إنَّني لَمْ أتْرُكْ مِنْهُ أيَّ مَبْحَثٍ.» فـ «حتى»، هنا، حرفُ ابتداء، أي هي حرفٌ تُبْتَدَأُ بعده الجُمَلُ، أي تُسْتَأنف، كقولهم: «مرض زيدٌ حتى إنَّهم لا يرجونه».

٥ ـ (واو) الإستئناف، كقولك: «وإنِّي سعيدٌ بالكرام».

* * *

ثانياً: ـ إذا وقعت «إنَّ» في أول جملة الصلة، بحيث لا يسبقها شيءٌ منها، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ أُوْلِي القُوَّةِ﴾ سورة القصص ٧٦/٢٨، وكقولك: «أعطيته ما إنَّ رفعة ليغنيه».

وكقولك: «أقدّر الذي إنّه مجتهد»، وكقولهم: «جاء الذي إنَّهُ غني».

* * *

ثالثاً: إذا وقعت «إنَّ» في أوّل جملة الصفّة، كقولك: «قرأتُ كتاباً إنّه عِلْميٌّ»، وكقولك: «مررتُ برجلٍ إنَّهُ فاضِلٌ».. لأن الجُمَل بعد النكراتِ صفات، وبعد المعارف أحوال.

* * *

رابعاً: إذا وقعت «إنَّ» في أول الجملة الحالية، كقولك: قابلتُهُم وَإنِّي لَسَعِيدٌ»، وكقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَخْرَجَكَ رَبُّكَ من بَيْتِكَ بِالحَقِّ وَإنَّ فَرِيقاً مِنَ المؤمنين لَكَارِهُونَ﴾ سورة الأنفال ٨/ ٥.

* * *

خامساً: إذا وقعت «إنَّ» في أول الجملة المضاف إليها ما يختصُّ بالجملة، وهو:

أ ـ «حَيْثُ»، كقولك: «أجلس حَيْثُ إنَّ زيداً جالسٌ»، ويقول ابنُ هشام الأنصاري: إنَّ الفقهاء وغَيْرَهُم قد أُولِعُوا بفتح «أَنَّ» بعد «حَيْثُ»، وهو لحنٌ فاحِشٌ، فإنّها لا تضاف إلاّ الى الجملة، و «أنّ» المفتوحة ومعمولاها في تأويل المفرد.

أمّا إذا لم تقع في أول الجملة المضاف إليها ما يختصُّ بالجملة فإنّها تُفْتَح، نحو «جلستُ حيثُ اعتقادُ زيدٍ أنَّهُ مكانٌ حسنٌ».

وينهي ابنُ هشام كلامه بقوله: «وَلَمْ أرَ أحداً من النحويين اشترط الأوَّلية في مسألتي «الحال» و «حَيْثُ»، ولا بدَّ من ذلك».

ب ـ «إذ» كقولك: «انتصرتم على العدو إذ إنَّكُم مؤمنون بعدالة قضيتكم»، وكقولك: «جئتُكَ إذ إنَّ زيداً أميرٌ».

ج ـ «إذا»، كقولك: «خرجتُ فإذا إنَّ زيداً بالباب».

* * *

بقيت وجوه خمسة يجب فيها كسرُ همزة «إنَّ» سَنَدْرُسُهَا في العدد القادم إن شاء الله. فإلى اللقاء.

٢ ـ وجوب كسر همزة «إنَّ»(١)

ذكرنا في العدد الماضي خمسة وجوه يجب أن تُكسر فيها همزة «إن»، وهي:

١ ـ إذا وقعت في ابتداء الكلام، أي في ابتداء الجملة، حقيقة أو حكماً.

٢ ـ إذا وقعت في أوّل الصّلة.

٣ ـ إذا وقعت في أوّل الصّفة.

٤ ـ إذا وقعت في أوّل الجملة الحالية.

٥ ـ إذا وقعت في أوّل الجملة المضاف اليها ما يختص بالجملة، وهو: «حَيْث» و «إذ» و «إذا».

ونتابع في هذه الحَلْقَة دراسة الوجوه الخمسة الباقية، والتي يجب فيها كسر همزة «إنَّ»، حيث لا يمكن تأويل «إنَّ» مع معموليها بمصدر يسدُّ مَسَدَّها ومَسَد معموليها.

* * *

سادساً: إذا وقعت «إنَّ» جواباً للقسم، سواء أكان في خبرها:

أ: اللام، كقوله تعالى: ﴿وَالعَصْرِ إنَّ الإنسانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ (سورة العصر ـ ١٠٣/١) وكقولك: «والله إنَّ زيداً لَنَاجِحٌ»، و «والله إنَّ المقاومَ لَمُحِقٌ».

ب: أَمْ لا، أي ليس في خبرها اللام، كقوله تعالى: ﴿حَم☆ وَالكِتَابِ

(١) مجلة البلاد البيروتية، العدد ٩٤، السبت ٢٣ صفر ١٤١٣ هـ ـ ٢٢ آب ١٩٩٢ م، ص: ٥٥.

المُبينِ☆ إنَّا أنْزَلْنَاهُ في لَيْلَةٍ مُباركة﴾ (سورة الدخان ٤٤/ ١ ـ ٣). وكقوله تعالى: ﴿حَم☆ والكِتَابِ المُبَينِ☆ إنّا جَعَلْنَاهُ قرآناً عربياً لَعَلَّكُم تَعْقِلون﴾ سورة الزخرف ٤٣/ ١ ـ ٣

* * *

سابعاً: إذا وقعت «إنَّ» محكيةً بالقول، كقول عيسى (ع): ﴿قال: إنّي عبدُ الله﴾ (سورة مريم ١٩/ ٣٠)، وكقوله تعالى: ﴿وقال اللهُ: إني مَعَكُم﴾ (سورة المائدة ٥/ ١٢).

أما إذا وقعت «إن» بعد القول غير محكية فتُفتح همزتها: كقولك: «أتقول أنك فاضلٌ»، لأنَّ «القولُ» في هذا التركيب اللغويّ عاملٌ عَمَلَ «الظن»، والتقدير: «أتظن أنَّكَ فاضِلٌ»، ولكني لم أَقَع على شاهدٍ نحويّ قرآنيّ يؤيدُ مثل هذا القول.

* * *

ثامناً: إذا وقعت «إنّ» قبل اللام المُعَلِّقَة، كقوله تعالى: ﴿إذا جَاءَكَ المُنافقونَ قالوا: نَشْهَدُ إنَّك لَرَسُولُ الله، والله يعلمُ إنَّك لَرَسُوْلُهُ، واللهُ يَشْهَدُ إنَّ المنافقينَ لَكَاذِبونَ﴾ (سورة المنافقين: ٦٣/ ١).

فاللام في «لرسول الله» وفي «لرسوله» وفي «لكاذبون» مُعلِّقَةٌ لِفعلي «العلم» و «الشهادة»؛ أي مانعة لهما من التسلط على لفظ ما بعدهما؛ فصار لما بَعدَهُما حكم الابتداء، فلذلك وَجَبَ كَسْرُ همزة «إنّ»... ولولا اللامُ المُعَلِّقَةُ لوجب الفتحُ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿شهدَ الله أنَّه لا إله إلا هو﴾ (سورة آل عمران ٣/ ١٨)، وكقوله تعالى ﴿وَٱعْلَمُوا أنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَللرّسولِ ولذي القُربى والمساكينِ وابنِ السبيلِ﴾ (سورة الأنفال ٨/ ٤١).

وقال النحاةُ إنّ هذه اللام المُعَلِّقَة تقع كثيراً بعد أفعال القلوب في باب

«ظَنّ» وأخواتها ـ والتي تنصب مفعولين ـ فتُعلقها عن العمل: أي تمنع الفعل من نصب المفعولين لفظاً، كقولك: «علمت إنَّ الجهادَ لَشَرَفٌ». . **فهذه اللام المُعَلِّقَة هي لام الابتداء، وتسمى أيضاً، اللام المزحلقة.**

* * *

تاسعاً: إذا وقعت «إنّ» موقع المفعول الثاني، كقول الشاعر:

مِنَّا الأناةُ، وَبَعْضُ القَوْمِ يَحْسِبُنَا ... إنَّا بِطاءٌ، وفي إبطَائِنا سَرَعُ

* * *

عاشراً: إذا وقعت «إنَّ» في جملة هي خبرٌ عن اسم عين، كقولك: «زيدٌ إنَّهُ عَالِمٌ»، وكقوله تعالى: **﴿إنَّ الذينَ آمَنُوا والذين هَادُوا والصَّابئينَ والنَّصَارَى والمجوسَ والذينَ أشرَكُوا إنَّ الله يَفْصِلُ بينهم يومَ القِيامة﴾** (سورة الحج ١٧/٢٢).

* * *

ونستطيع تلخيص ما سبق بقولنا: إذا لم يجب ـ أو لم يمكن ـ تأويلُ «إنَّ» مع معموليها ـ أي مع جملتها المُكونة من اسمها وخبرها ـ بمصدر يَسُدُّ مَسَدَّها وَمَسَدَّ معموليها: أي يحل محلها جميعاً، وجب كسرُ همزة «إنَّ».

وقد لخص **ابنُ مالك** ـ رحمه الله ـ ذلك في ألفيته، بقوله:

وهَمزَ «إنَّ» افتحْ لسدِّ مصدرِ ... مَسَدَّها، وفي سوى ذاك اكسِرِ

فاكسر في الابتدا، وفي بَدْءِ صلَهْ ... وحيثُ «إنَّ» ليمينٍ مُكملَهْ

أو حُكِيَتْ بالقول، أو حَلتِ محلّ ... حالٍ، كَزُرْتُهُ وإنِّي ذو أَمَلْ

وَكَسَروا من بعدِ فِعلٍ عُلِّقا ... بالَّلامِ، كاعْلَمْ إنَّهُ لذو تُقَى

ويُلاحظ أَنَّ ابن مالك، رحمه الله، قد أغفل ذكر وجوهٍ ذكرناها؛ منها وجوب كسر همزة «إنَّ» بعد «ألاَ» الاستفتاحية، وبعد «حَيْثُ»، وإذا وقعت في جملة هي خبرٌ عن اسم عين.. الخ

ـ **فمتى يجوز كسر همزة «إنَّ»؟ ولماذا؟**

هذا ما سندرسه في العدد القادم إن شاء الله تعالى.. فإلى اللقاء.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١ ـ جواز كسر همزة «إنَّ»[١]

درسنا في الحَلْقتين الماضيتين وجوبَ كسر همزة «إنّ».. وسندرس، اليوم، جواز كسر هذه الهمزة وجواز فتحها في ضوء القاعدة التي ذكرناها هناك، وَالقائلة بوجوب كسر همزة «إنّ» في كلّ موضع لا يصحّ ان تُسْبَكَ فيه مع معموليها بمصدر يحلّ محلها ومحل معموليها.

أمّا جوازُ كسر هذه الهمزة أو جواز فتحها فهو في كلّ موضع نستطيع فيه أن نؤوّل (أنَّ) ومعموليها بمصدر يحل محلها ومحلّ معموليها كما ونستطيع ـ إذا شئنا ـ ألاّ نؤوّلها ومعموليها بمصدر.

ـ فإذا سدَّ المصدرُ المؤوّل مسَدَّها ومسَدَّ معمولها فُتِحَتْ همزتُها.

وإذا لم يَسُدّ المصدر المؤوّل مسَدَّها ومسَدَّ معمولها كُسِرتْ همزتها.

وصاحبُ اللغة ـ أو ابنُ اللغة ـ مُخيَّرٌ في ذلك، أي أنّ له الحقّ في فتح هذه الهمزة وله الحقّ في كسرها.. وبين فتح الهمزة وكسرها يتغيّر التركيب اللغويّ.. وقد يتغير معنى هذا التركيب أيضاً.

وأشهَرُ المواضع التي يجوز فيها فتحُ كسرة «إنّ» ويجوزُ فيها كسرُها، هي:

أوّلاً: أن تَقَع «إنَّ» بعد كلمة «إذا» الفُجائيّة، كقولك «خرَجْتُ فإذا «إنَّ» «زيداً بالباب»، ـــ بفتح الهمزة وبكسرها ـــ وكقولك: «اْستيْقَظتُ فإذا «أنَّ» الشمس طالِعَةٌ».

ـ فكسْرُ همزة «إنَّ» على اعتبار «إذا» حرفاً ـ تبعاً لرأي «الأخفش»، لأنّ «إنَّ» لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ـ وفتحُ همزة «أنَّ» على اعتبار «إذا» حرفاً أيضاً، والمصدر المؤوّل من «أنَّ» ومعموليها في محل رفع مبتدأ، والخبر

(١) مجلة البلاد البيروتية، العدد ٩٥، السبت ١ ربيع الأول ١٤١٣ هـ ـ ٢٩ آب ١٩٩٢ م، ص: ٥٥.

محذوف، والتقدير: خرجت فإذا زيدٌ موجودٌ، واستيقظت فإذا طلوعُ الشمس حاضرٌ.

ويجوزُ، أيضاً، اعتبار «إذا» ظرفَ زمان أو مكانٍ، فتكون خبراً مقدّماً، ويكون المصدرُ المنسبِّكُ من «أنَّ» ومعموليها في محل رفع مبتدأ مؤخر، والتقدير: في المكان أو الوقت وجودُ زيدٍ أو طلوع الشمس.

ولا يخفى على القارىء: أنَّ الكسر كسْرَ همزة «إنَّ» أوْلى لأنه لا يُحوجُ الى تقدير..

* * *

ثانياً: أن تقع «إنَّ» بعد الفاء الجزائية، وهي الفاء الواقعة في صدر جواب الشرط وجزائه، كقوله تعالى: **﴿مَن عَمِلَ منكُمْ سُوءاً بِجَهَالةٍ ثُمَّ تَابَ من بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فأنَّه غفورٌ رحيم﴾** سورة الأنعام ٦/ ٥٤ ـ قُرِىء بكسْرِ «إنَّ»، وبفتحها «أنّ»، والفتح هو المُثْبَتُ في المصحف؛

ـ فالكسرُ على معنى: فهو غفورٌ رحيمٌ، أي أنه جعلَ ما بعد الفاء جملة تامّة.

ـ والفتحُ على معنى: فالغُفرانُ والرَّحمةُ: أي حاصلان، أو: فالحاصل الغُفرانُ والرّحمة.. أي أنَّ الفتح على تقدير (أنَّ) وما دخلت عليه مُؤّلانِ بمصدر ، هو:

ـ خبر مبتدأ محذوف، أي فجزاؤه الغفران.

ـ أو مبتدأ خبرُه محذوف، أي فالغفرانُ جزاؤه..

ويلاحظُ القارىءُ أنَّ الكسرَ، كسْرَ همزةِ «إنَّ» بعد الفاء الجزائية أحسَنُ في القياس، ولا يتطلب أيّ تقدير.

* * *

ثالثاً: أن تقع «إنَّ» خبراً عن قول، ومخبراً عنها بقول، والقائل واحدٌ، وذلك نحو: «قولي إنِّي أَحْمَدُ الله،» حيث يلاحظ أنّ:

أ ـ «أنَّ» وقعت خبراً عن «قول».

ب ـ وخبَرُ «أنَّ» هو قولٌ أيضاً، كـ: «أَحْمَدُ» ونحوه.

ج ـ وفاعلُ القولين في هذا التركيب اللغويّ واحدٌ.

فما استوفى هذه الضوابط الثلاثة كالمثال المذكور، جاز فيه.

أ ـ الفتحُ، على معنى: أوّل قولي حمْدُ الله.

ب ـ والكسْرُ، على جَعْلِ:

ـ «قولي»: مبتدأ.

ـ «إنّي أحمَدُ الله» جملة أخبر بها عن هدا المبتدأ، وهي مُستغنيةٌ عن عائدٍ يعودُ على المبتدأ، لأنها المبتدأ نفسه في المعنى.. فكأنه قيل: أوّلُ قولي هذا الكلام المُفتتح بأني أحمدُ الله..

ـ ولو انتفى الشرط الأوّل، أي إذا لم تكن «إنَّ» قد وقعت خبراً عن قولٍ فُتحت، نحو: «عِلْمِي أني أحمَدُ الله».

ـ ولو انتفى الشرط الثاني، أي إذا لم يكن خبر «إنَّ» قولاً، كُسِرت، كقولك، «قولي إني مؤمنٌ».

ـ ولو انتفى الشرط الثالث، أي إذا اختلف القائل؛ أي إذا لم يكن فاعلُ القولين واحداً، كُسرَت همزةُ «إنَّ»، كقولك: «قولي إنّ زيداً يَحمَدُ الله».

* * *

والى العدد القادم لُتكملَ، بإذن الله، الكلام على جواز كسر همزة «إنَّ» وجواز فتحها.

٢ ـ جواز كسر همزة «إنَّ»[(١)]

تكلمنا في الحَلْقَةِ الماضية على جواز كسر همزة «إنَّ» وجواز فتحها في ثلاث مسائل، هي الأشهرُ، وهي: .

١ ـ بعد «إذا» الفجائية.

٢ ـ بعد «الفاء» الجزائية.

٣ ـ أن تقع خبراً عن قول، ومُخبراً عنها بقول، والفاعل ـ أو القائل ـ واحد.

وبقيت حالاتٌ عدةٌ يجوزُ فيها كسرُ همزة «إنّ» إذا أراد المتكلم ألاّ يؤوّلها مع ما بعدها بمصدر يحلّ محلّها ومحلّ معموليها، ويجوز ـ أيضاً ـ فتحُ همزة «إنّ» إذا أراد المتكلّم أن يؤوّل «أنَّ» مع ما بعدها بمصدر يحلّ محلها ومحلّ معموليها، وهذه الحالات هي:

رابعاً: وقعت «إنَّ» بعد فعل قسمٍ ولا (لام) بعدها، أي إذا وقعت جواب قسمٍ وليس في خبرها اللام، سواءٌ أكانت الجملة المُقسَمُ بها:

أ ـ فعليّة، والفعل فيها:

ـ ملفوظ به، نحو: «حَلَفْتُ إِنَّ زيداً قائمٌ».

ـ أو غيرُ ملفوظ به، نحو: «والله إِنَّ زيداً قائمٌ» ـ وهو ما لا يجيزه البصريون ـ.

ب ـ أم إسمية، نحو: «لَعَمْرُكَ إِنَّ زيداً قائمٌ».

فالكسرُ، كسرُ همزة «إنّ» على الجواب، أي جواب القسم، والبصريون يوجبونه.

---

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثالثة، العدد ٩٦، السبت ٨ ربيع الأول ١٤١٣ هـ ـ ٥ أيلول ١٩٩٢ م، ص: ٥٤.

والفتحُ بتقدير حرف الجرّ «على»، والتقدير: حَلَفْتُ على أنَّ زيداً قائمٌ. . أي على قيام زيد.

ويلاحظ القارىء أنَّ الكسر لا يحتاج الى تأويل أو تقدير. . فهو أقوى. . ويلاحظ أيضاً أنه:

أ ـ **إذا ذكرت اللام وجب كسر همزة «إنّ»**، كقولك: «حَلَفْتُ إنَّ زيداً لقائمٌ».

ب ـ **إذا أضمر الفعل، أي إذا لم يتلفظ به تعين الكسر على الأرجح كما** قال البصريون، كقولك: «والله إنّ زيداً قائمٌ» ـ ليس غير.

* * *

خامساً: إذا وقعت في موضع التعليل، كقوله تعالى: **﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ، أَنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾** سورة الطور ٥٢/٢٨.

قرأ **نافعٌ والكسائيّ «أنّه»**، بفتح الألف، أي ندعوه لأنه هو البَرُّ الرحيم، أي لرحمته يجيب من دعاهُ. . فكذلك ندعوه. . يلاحظ أنه قد قُدّرت لام التعليل هنا.

وقرأ الباقون بالكسر، «إنّهُ»، قطعوا الكلامَ ممّا قبله. . على أنه تعليل مستأنفٌ. .

ومثل الآية السابقة قوله تعالى: **﴿صَلِّ عَلَيْهِم، إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لهُمْ﴾** سورة التوبة ٩/١٠٣.

ومثله قولنا: «لبّيك، أَنَّ الحمدَ والنِّعمة لك».

فالفتح على تقدير لام التعليل، أي لأنّ صلاتك سكنٌ لهم، ولأن الحمد والنعمة لك.

والكسر على اعتبار «إنَّ» في صدر الجملة. . وهو الأقوى والأقيس.

* * *

سادساً: أن تقع بعد (واو) مسبوقة بمفرد صالح للعطف عليه، كقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذا عَدُوٌّ لَكَ ولِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا من الجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إنَّ لَكَ ألاَّ تَجُوْعَ فيها ولا تعْرى (١١٨) وإنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى﴾ سورة طه ٢٠/١١٧ ـ ١١٩.

قرأ نافعٌ وأبو بكر: «وإنَّك لا تظمأ» ـ بكسر همزة «إنَّ»

أ ـ إمّا على الاستئناف..

ب ـ وإمّا بالعطف على جملة (إنّ) الأولى، وهي قوله «إنّ لك ألاَّ تَجُوعَ. . وإنّك لا تظمأ. .»

ـ وقرأ الباقون بالفتح.

* * *

سابعاً: أن تقع بعد (حتّى)، ويختصّ.

أ ـ الكسرُ بـ «حتّى» الابتدائية، نحو «مَرِضَ حتّى إنّهم لا يرْجونه».

ب ـ والفتحُ بالجارّة والعاطفة، نحو: «عَرَفتُ أمورَكَ حتّى أنّك فاضِلٌ.»

* * *

ثامناً: أن تَقَعَ بعد (أَمَا).

أ ـ فالكسرُ واجبٌ على أنّها حرفُ استفتاح بمنزلة (ألاَ)، نحو: أَمَا إنَّكَ فَاضِلٌ.

ب ـ والفتحُ على أنَّها بمعنى أَحَقاً.

* * *

تاسعاً: تقَعَ بعد «لا جَرَمَ»، كقولهم: «لا جَرَمَك إنَّ الله يَعْلَمُ».

فالفتح ـ وهو الغالب ـ عند سيبويه على أنّ:

«جَرَمَ» فعلٌ ماضٍ، بمعنى «وَجَبَ».

و «أنَّ» مع معموليها في تأويل مصدر، في محل رفع فاعل، أي: وَجَبَ أن الله يعلم.

و «لا»: إمّا أنها حرفٌ زائد.. وإما أنها حرفُ جواب لنفي المعنى السابق عليها إذا كان المتكلّم غير موافق عليه.

أمّا «الفرّاءُ» فيقول: إنَّ «لا جَرَمَ» بمنزله: «لا رَجُلَ»، ومعناها: «لا بَدَّ»، فلا: نافية للجنس، و «جرم» اسمها، مبني على الفتح، في محل نصب، والمصدر المنسبك من «أن» ومعموليها مجرور بحرف جر محذوف، والخبر: محذوف أيضاً وهو متعلق بالجار، ومجروره، والتقدير «لا جَرَمَ من أنّ الله...».

والكسْرُ ـ عند «الفراء» الذي يجيزه ـ سببه أن بعض العرب يجريها مجرى اليمين.

فيقول: «لا جَرَمَ لآتينَّكَ»؛ أي بدليل وجود اللام.

* * *

عاشراً: وقوعها بعد «أي» المفسِّرة، كقولك: «أعجبتني كتابتك المفيدة، أي إنَّك تكتبُ شيئاً نافعاً..».

فالفتحُ، فتحُ همزة «أنَّ» على اعتبار المصدر المؤوّل هنا من أنّ ومعموليها بدلاً من المصدر الذي قبله.

والكسرُ، كسرُ همزة «إنَّ» على اعتبار «إنّ» في صدر جملتها التفسيرية، ولا محل لها من الإعراب.

فتح همزة «أنَّ» وجوباً

تكلّمنا، في الأعداد الماضية، على كسرِ همزةِ «إنَّ» وجوباً وجوازاً، مِمَّا يعني أنَّنا قد تكلمنا على فتح همزةِ «أنَّ» جوازاً عند كلامنا على جواز كسر همزة «إنَّ».

أمَّا اليوم فسنتكلّم على وجوبِ فتحِ همزةِ «أنَّ».. وباستطاعتنا تلخيصُ هذا الوجوب بقولنا: إنّ همزة «أنَّ» تفتحُ وجوباً إذا لم يستطع المتكلّم إلاّ أن يقدّرها مع معموليها ـ أي مع اسمها وخبرها ـ بمصدرٍ يحلُّ محلَّها ومحلَّ معموليها ـ أو يَسُدُّ مَسَدّها وَمَسَدَّ معموليها ـ، ويكون هذا المصدر المقدّر في محل رفعٍ أو نصبٍ أو جرٍ؛ أي إنَّ «أنَّ» تشكلّل مع معموليها جزءاً تفتقرُ إليه الجملة، ويكون ذلك في المواضع التالية:

أولاً ـ إذا قدّرت «أنّ» مع معموليها بمصدرٍ، ويكون هذا المصدر في محل رفع فاعل، سواءٌ أكان هذا المصدر المقدّر.

أ ـ فاعلاً لفعلٍ ظاهرٍ، كقولكِ: يُعْجِبُني أنَّك نَاجِحٌ؛ أي: يُعْجبني نَجَاحُك، فَنَجَاحُك: فاعل مرفوعٌ لفعل ظاهر وهو يعجب، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.. وهو مضاف، والكاف: ضمير متصل، مبني على الفتح، في محلِ جرّ بالإضافة.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنا عَلَيْكَ الكتابَ يُتْلى عليهم﴾ سورة العنكبوت ٢٩/ ٥١، أي أَوَلم يَكْفِهم إِنْزَالُنا الكتاب.. فَإِنْزَالُنا: فاعل مرفوعٌ لفعلٍ ظاهر، وهو: «يكفي».

ب ـ أم فاعلاً لفعلٍ مُقدّر، وذلك بعد: «مَا» المصدرية، و «لو» الشرطيّة، وبَعْدَ «حَقاً» وهي مفعولٍ مطلقٍ لفعلٍ محذوف. وذلك نحو:

١ ـ بعد «مَا» المصدرية، كقولهم: «أُكَلِّمُهُ مَا أَنَّ في السَّمَاء نجماً»، وكقولهم: «لا أَفْعَلُ هذا مَا أَنّ حِراءَ مَكانَه»؛ أي:

ـ لا أُكَلِّمُهُ ما ثَبَتَ كون نجم في السماء.

ـ ولا أفعله ما ثَبَتَ كون حِرَاء مكانه.

٢ ـ بعد «لو» الشرطية، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِم لَكان خَيْراً لَهُم﴾ سورة الحجرات ٤٩/ ٥.. فـ «لو» لا تدخل إلاّ على الجملة الفعلية، وتقديرُ ما بعدها في الآية: لَوْ ثَبَتَ صَبْرُهم؛ أي إنّ (أَنّ) واسمها وخبرها مؤولة بمصدرٍ، وهو هنا «صَبْرُهم»، وهذا المصدر في محل رفع فاعل لفعلٍ محذوف، تقديره «ثَبَتَ».

فـ: «لو» حرفُ شرط، يدلّ على الإمتناع للإمتناع، مبني على السكون، ولا محلّ له من الإعراب.

ـ أَنَّهُم: ـ أَنّ: حرف توكيد ونصب، مبني على الفتح، لا محل له من الاعراب.

وهُمْ: ضمير متصل، مبني على السكون، في محل نصب اسم «أنّ».

صَبَرُوا: فعلٌ ماضٍ، مبني على الضمّ لإتصاله بواو الجماعة.

والواو: ضمير متصل، مبني على السكون في محل رفع فاعل للفعل «صبر». والجملة من الفعل والفاعل في محل رفع خبر «أنّ».

«والمصدر المؤول من «أنّ» ومعمولها في محل رفع فاعل لفعل محذوف. وتقدير الجملة: «لو ثَبَتَ صبْرُهم..»

٣ ـ إذا وقعت «أَنَّ» بَعْدَ «حَقّاً» وجب فَتْحُ همزتها، وذلك كقولك: «حَقّاً أَنَّهُ عالم»، و:

ـ حَقّاً: مفعول مطلق، منصوب لفعلٍ محذوف، تقديره: «حَقّ حقاً»، وعلامةُ نصبه الفتحة الظاهرة.

ـ أنّه: أَنَّ: حرف توكيد ونصب مبني على الفتح، لا محلّ له من الإعراب. والهاء: ضمير متصل مبني على الضم، في محل نصب اسم «أنّ».

ـ عَالِمٌ: خبر «أَنَّ» مرفوع، وعلامةُ رفعه الضمة الظاهرة. والمصدر المؤول من (أَنَّ) ومعموليها في محل رفع فاعل لفعلٍ محذوف، وتقديره: حَقَّ عِلْمُهُ حَقّاً.

أَمَّا إذا أعربت «حَقّاً» ظرفَ زمانٍ ـ والظرفية هنا مجازية ـ منصوب وعلامة نصبه الفتحة، فتكون شبه الجملة في محلّ رفع خبر مقدّم.

و «أَنَّهُ»: عالِمٌ أَنّ + اسمها + خبرها.

والمصدر المؤول من أنّ ومعموليها في محل رفع مبتدأ مؤخر. وتقدير الجملة: في حقّ عِلْمُهُ.

* * *

ثانياً ـ إذا وقعت «أَنَّ» ومعموليها في موضع النائب عن الفاعل، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ من الجنّ﴾ ٧٢/١، أي قل أُوْحِيَ إليّ استماعُ نفرٍ من الجن... فـ: استماعُ نائب فاعل للفعل المبني للمجهول «أوْحِيَ».

* * *

ثالثاً ـ أن تقع مع معمولها في محل رفع مبتدأ، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ سورة فصلت ٤١/٤٩، أي: ومن آياتِه رُؤْيَتُكَ الأرضَ خَاشِعةً.

فـ: رؤيتك: مبتدأ مؤخر، مرفوع، وهو: مضاف، والكاف: مضاف اليه..

ـ وكقوله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ في بطنِه الى يَوْمِ يُبْعَثون﴾ سورة الصافات ٣٧/١٤٣ ـ ١٤٤.

فـ: «لولا»: حرفُ امتناع للوجود، مبْني على السكون، لا محلّ له من الإعراب.

ـ «أنه كان من المسبحين» ـ أَنَّ + اسمها + خبرها: والتقدير: لولا تَسْبِيحُهُ (قائم) للبث في بطنِ الحوتِ الى يوم يُبْعثون. فالمصدر المؤول من أنّ ومعموليها في محلّ رفع مبتدأ، وخبره محذوف وجوباً تقديره قائم، مستمرٌ. . . الخ.

* * *

رابعاً ـ أن تقع «أنَّ» مع معموليها في محل رفع خبر عن اسم مَعْنىً غير قولٍ، ولا صادق عليه خبرها، كقولك: «إعتقادي أنَّكَ عَالِمٌ»؛ أي: اعتقادي عِلْمُكَ. . . وكقولك: «ظنّي أنَّهُ مُقيمٌ معنا اليوم»؛ أي ظني إقامته اليومَ معنا. . وهذا بخلاف قولهم: «قولي إنَّه عالمٌ، و «اعتقادُ زيدٍ إنه حقّ» فيجب كسر همزة (إن) في العبارتين. .

* * *

خامساً ـ أن تقع «أنَّ» مع معموليها منصوبة أي مفعولةٌ غير محكية، كقولك: عَرَفْتُ أنَّك عَالِمٌ؛ أي: عَرَفتُ عِلْمَك، وكقوله تعالى: ﴿ولا تَخَافُونَ أنّكم أشْرَكتم بالله ما يُنزّل بِهِ عَلَيْكُم سلطاناً﴾ الأنعام ٦/ ٨١.

سادساً: أن تقع «أنَّ» مع معموليها موقع المصدر المستثنى، كقولك: تعجبني سيرتُهُ إلاّ أنّه سريعُ الغضب.

ـ فـ: «أنّ» + اسمها + وخبرها في تأويل مصدر، في محل نصب مستثنى، وتقدير الجملة: تُعْجِبُني سيرتُهُ إلاّ سرعة غضبه.

* * *

سابعاً ـ أن تقع «أنَّ» مع معموليها مجرورة إما:

أ ـ بحرف الجرّ، كقولك: عجبتُ من أنّك قائمٌ؛ أي عجبت من قيامك، وكقوله تعالى: ﴿ذلك بأنَّ الله هو الحقّ﴾ سورة الحج ٢٢/ ٦٢.

ب ـ وإمّا بالإضافة؛ أي أتقع في موضع المضاف اليه، كقوله تعالى:

﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ والأرضِ إنه لَحَقٌ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تنطقون﴾ سورة الذاريات ٥١/٢٣.

أي: مثل نطقُكم؛ فـ«أنَّ» وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالإضافة.

* * *

ثامناً: ـ أن تقع «أنّ» ومعموليها معطوفةً على شيء» ممّا ذكرنا فتأخذ حكمه، كقوله تعالى: ﴿اذكروا نعمتي التي أنعمتُ عليكم، وأنِّي فَضَّلْتُكُمْ على العالمين﴾ سورة البقرة ٢/٤٧.

أي: اذكروا نعمتي وتفضيلي.

* * *

تاسعاً ـ أن تقع «أنَّ» و معموليها في موضع البدل من شيء ممّا ذكرنا، فتأخذ حكمه، كقوله تعالى: ﴿وإذ يَعِدُكم الله إحدى الطائفتين أنّها لكم﴾ سورة الأنفال ٨/٧.

أي: وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين كونها لكم؛ فهو: بدل اشتمال من المفعول به.

* * *

والقاعدةُ العامة لوجوب فتح همزة «أنَّ» هي وجوب تقدير (أنَّ) ومعموليها بمصدرٍ يسدّ مسدها.

وإذا لم يجب تقديرها بمصدر يسدّ مسدّها لم يجب فتحها.. بل قد تكسر وجوباً أو جوازاً كما سبق ودرسنا في الأعداد الماضية.

كتب اللغة والكلام على الأخطاء[1]

بادرني صديقي الأستاذ «عليّ» بالقول: إنَّ كلامك، يا دكتور عصام، على كسر همزة «إنَّ» وفتحها قد لا يكون ضرورياً لقرائنا، لأنّ الإنسان يستطيعُ أن يعودَ الى أيّ كتاب نحويّ ويأخذ القاعدة منه.. ونتمنّى لو تكتب عن الأخطاء الشائعة كما سبق وفعلت في «تمييز الخطأ من الصواب»...

وتدخل الأستاذ «خليل» متمنياً عليّ أن أبدأ الكلام على قضيّة «رغم».. لأنّ الكتّاب يتجادلون بشأنها دائماً..

فكرتُ مليّاً بما قاله الصديقان.. وهممتُ أن أقولَ لهما وَدَاعاً.. لولا أن تداركني العقلُ والقلبُ معاً، فقررتُ طرحَ الموضوع على القراء، لأنني غيرُ مقتنع بما تقدّم من كلامهما على كسر همزة «إنَّ» وفتحها، ولأني لاحظتُ أنّ غير واحد من أساتذة الجامعات والكتاب والصحافيين، والمذيعين، والمشتغلين بالكلمة لا يستطيعون ضبط هذه الهمزة ضبطاً صحيحاً مقصوداً.. ولأن القول إنّ القواعد موجودة في كتب النحو.. قول صحيح.. ولكن لماذا لا يعود المشتغلون بالكلمة الى هذه القواعد؟ ولماذا لا يأخذونها؟ ولماذا يخطئون في استعمالها؟

وأقول: إن الكلام على الأخطاء الشائعة موجودٌ، أيضاً، في كتب النحو العربي وفي المعجمات، وفي كتب اللغة.. فلماذا لا يعودُ إليها القراءُ والكتّاب؟ ولماذا يستمرّون في ارتكاب الأخطاء المخلّة بلغة القرآن الكريم؟ ولماذا لا نقول للجميع راجعوا كتب النحو والمعجمات وادرسوا أبوابها وكلماتها.. وكفى الله المؤمنين مؤونة البحث والدرس والكتاب؟!.

إنني أظن ظناً قوياً أن من مهمات الكاتب اللغوي أن يقدّم المادة اللغوية دائماً للقراء بمحبّة، وبمنهج اليسر، دون أن يخلّ ذلك بالمادة المقدّمة.

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثالثة، العدد ٩٨، السبت ٢٢ ربيع الأول ١٤١٣ هـ ـ ١٩ أيلول ١٩٩٢، ص: ٥٥.

وإنني أزعم أن وظيفة صفحة «لغة القرآن» في هذه المجلة هي طرح القضايا اللغوية التي يعاني منها القراء، والتي يساعد فهمها على دراسة القرآن الكريم وفهم أصواته، وكلماته وتراكيبه، ومعانيه.. لأن النصَّ القرآني هو المصدر الأول للتشريع.. عندنا..

ولا يعني كلامي السابق أني أبخلُ على القراء بالكلام على الأخطاء الشائعة.. فأنا كنت قد أعددت فهرساً بمئة كلمة وتركيب.. وكنت سأبدأ بهذه الكلمات بعد انتهاء كلامي على فتح همزة «أنَّ»، أي بعد صدور عددين اثنين من أعداد المجلة.

إنّ الكاتب، في الوطن العربيّ، قد يعاني مشكلة التدخل الإداري في المادة التي يقدّمها، وفي منهج معالجته، وفي «الممنوعات» التي لا تريد هذه المجلة أن ترتكبها.. فإذا أذعن الكاتب حتى لأصدقائه..يكون قد تخلّى عن ذاته، وأصبح «كاتباً مأجوراً»، يكتب ما يُؤْمَرُ به.. أو ما «يوحي به إليه»، فإذا هو آلة صمّاء، لا تبدعُ شيئاً.. ولا تقدّم أيّ مساهمةٍ في هذا الحقل أو في ذاك..

أمّا أنا فإنني أدعو الى التمرّد على كلّ قيدٍ غير سماوي.. لأنّ الله سبحانه وتعالى قد فرض علينا ما فيه حرّيتنا.. وإنسانيتنا.. ففرضُ الصلاة مثلاً: فيه صلة بالخالق والمخلوق وبالذات.. وفيه تواصل.. وفيه التطهر من رجس الفحشاء والمنكر.. وفيه حرية الإنسان والإنسانية.

القرّاءُ مدعوون، إذاً، الى الكلام، والى التعبير عن آرائهم، وعن حاجاتهم الى الكلام على كسر همزة (إنَّ) وفتحها، وهل تغني كتب النحو التي يمتلكونها عن كلامنا أم لا؟ وهل يكفيهم قول النحاة إنَّ همزة (إنَّ) تكسر عندما لا تؤول بمصدر يحل محلها ومحلّ معموليها وتفتح عندما تؤوّل بهذا المصدر؟.

* * *

وكيفما كان الأمر فإنني أُلخّصُ للقارىء بإيجاز شديد قواعد فتح همزة «أنّ» وجوباً، وذلك إذا قدّرت (أنّ) مع معموليها بمصدر، وكان هذا المصدر فاعلاً، أو نائباً عن الفاعل، أو مبتدأ، أو خبراً عن اسم، أو إذا وقع المصدر منصوباً، أي مفعولاً غير محكيّ أو مستثنى، أو إذا وقع المصدر، مجروراً بحرف جرّ أو بالإضافة، أو إذا وقع معطوفاً على شيءٍ ممّا ذكرنا، أو في موضع البدل من شيءٍ ممّا ذكرنا... فتأمّل!

* * *

اللّهم اجعل ذكرنا طيّباً.. اللهم سدّد خُطانا.. واهدنا الصراط المستقيم.. وتب علينا.. وقنا عذاب النار، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة ﴿وَهَيِّء لنا من أمرنا رشداً﴾.

.. والسلام عليكم.

«على الرّغم من»[1]

سُئلتُ يوماً: أيُّ التركيبين هو الصحيح من قولهم:

* دحرنا العدو من أرضنا على الرّغم منه.

* (عُدنا الى جنوبنا الصامد رغماً عن العدو).

وكيف نتلفّظ بالاسم «الرّغم»؟ أهو مفتوح الرّاء أم مضمومها أو مكسورها؟.

فقلت للسائل: ألاَ فاعلم أن موضع الخلاف في هذين التركيبين يقع في مسائل خمسة، هي:.

١ ـ هل يجوز حذف حرف الجّر الداخل على كلمة «الرّغم» أم لا؟.

٢ ـ إذا كان لا يجوز حذف حرف الجر.. فهل هو «على الرغم» أم «بالرّغم».

٣ ـ هل يتعدّى الفعل «رَغَمَ» ومصدره ومشتقاته:

أ ـ أو بنفسه.

ب ـ أو بحرف الجر «عن».

ج ـ بحرف الجر «من».

٤ ـ إذا جاز حذف حرف الجر الداخل على كلمة «الرّغم» فَعَلاَمَ تنتصب كلمة (الرّغم) بعدها؟.

٥ ـ ما حركةُ الرّاء من كلمة (الرّغم)، أهي الضمّة أم الكسرة أم الفتحة؟.

* * *

---

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثالثة، العدد ١٠٢، السبت ٢٠ ربيع الثاني ١٤١٣ هـ ـ ١٧ تشرين الأول ١٩٩٢ م، ص: ٥٥.

سنعالجُ هذه المسائل واحدة واحدة ليتسنى للقارىء الوصول الى استعمال هذا التركيب اللغويّ استعمالاً صحيحاً . .

* * *

أولاً: يجوز تحريك (راء) «على الرّغم» بالضمة والكسرة والفتحة فتقول: على الرُّغم منه، وعلى الرِّغم منه، وعلى الرَّغم منه.

والرَّغم والرِّغم والرُّغم، في اللغة، الكَرْه، والذّلة، والقسر، والتراب.

* * *

ثانياً: يلاحظ القارىء، أن فعل (رَغَمَ) قد يتعدّى بنفسه وقد يتعدّى، بحرف الجر (من)، وقد يأتي لازماً، فنقول:

رَغِمَهُ وَرَغَمَهُ يَرْغَمُ.

وَرغِمَت السائمةُ المرعى تَرْغَمُهُ: كرهته.

ويقالُ: ما أرْغَم من ذلك شيئاً: أي: ما أنْقِمُهُ وما أكرهه.

ـ وَرَغَمَ يَرْغم ويرغم ـ وَرَغُمَ ـ ذَلَّ عن كُرْه».

ـ وَأرغَمهُ الذُّلّ.

وتقول: فعلتُ ذلك على الرُّغم من أنفه.

ـ وَرَغَم فلانٌ ـ بالفتح ـ: إذا لم يقدر على الانتصاف وهو يَرْغَمُ رغماً . .

ـ ونقول: رَغمَ أنْفُهُ.

* * *

ثالثاً: يُلاحظ أن كلمة «الرّغم» تُجر بحرف الجر «على»، وهي اللغة، تقول: «فَعَلتُ ذلك على الرّغم منه».

أما استعمالُ بعضهم كلمة «الرّغم» مجرورة بـ «الباء». [بالرّغم منه]، فقد أجازه بعض الدّارسين. . ولكنني أميلُ ميلاً واضحاً الى تلافيه . . وتجنّبه . .

* * *

رابعاً: استعمل بعض الناس التركيب، وفيه كلمة «الرّغم» غير مسبوقة بحرف جر، فقالوا: «فعل ذلك رُغْمَ أنف فلان».

وقد أجاز بعض الدارسين، استعمال هذا التركيب في التراكيب الشعرية، ليس غير، لأن للشعر ضرورات أو بِنية تجيزُ له ما لا يجوز في النثر. وأجاز مجمع اللغة العربية، في جلسته التاسعة، من مؤتمر الدورة الخامسة والثلاثين، اسعمال بعض المحدثين، فقالوا: «فعلت ذلك رَغْمَ كذا» أو «رُغْماً عنه»، لأن (رغم) هنا، انتصبت على الحالية، أو لأنها مصدر بمعنى اسم الفاعل، أو لأنها منصوبة على نزع الخافض.

* * *

خامساً: قلنا إن التركيب العربي الأصليّ هو: **«فعلتُ ذلك على الرّغم من فلان»**، حيث جاء حرف الجر (من). . ولكن بعض المنشئين يقولون: «فعلت ذلك على الرّغم عن فلان»، معللين استعمال (عن) مكان (من)، بأن (عن) تنوب مناب (من): لأنها في رأيهم، توافقها، وترادفها، وتكون بمعناها حسب إجازة مجمع اللغة العربية السابق ذِكرهُ. .

* * *

إذا أردنا الخروج بنتيجة نهائية فإنني أدعو الى استعمال التركيب كما تلفّظ به العربُ أي: **«فعلت ذلك على الرُّغم من فلان»** وأتَخلى عن الاستعمالات الأخَرِ. . ولا أَلتفتُ إليها على الرُّغم من تجويز مجمع اللغة العربية لاستعمالها. . لأنني لا أتركُ استعمالاً صحيحاً ما دمتُ قادراً على استعماله. . ولا أغادره الى غيره خوفاً من تشويه هذه اللغة الكريمة وتفتيتها الى لهجات يتمنى أعداء العرب والمسلمين الوصول اليها.

ولا سِيَّما[1]

ورد التركيب اللغوي «ولا سِيَّما» في استعمال القدامى، كقول امرىء القيس:

ألاَ رُبَّ يـوم لـك منهـنَّ صـالـح ولا سِيَّمـا يـومٌ بَـدارَة جُلجُـل

ويستعمل هذا التركيب عندما يكون هناك شيئان مشتركان في شيء واحد، وما بعد هذا التركيب أكثر قَدراً مِمّا قبله، لأن «سِيَّ» من «وَلاَ سِيَّما» اسمٌ بمنزلة «مِثل» وزناً ومعنى، وتثنيته على «سَيَّان».

ويشترط في هذا التركيب اللغوي المؤلف من أربع وحدات لغوية، هي:

و + لا + سيَّ + ما

١ + ٢ + ٣ + ٤

ان تذكر فيه (الواو) قبل (لا) النافية للجنس، وأن تشدّد ياء (سيّ)، ومن أهمل ذكر هذه الوحدات الأربعة فهو مُخّطىء خطأ بعض المنشئين الذين قد يقولون تعابير غير نحوية، أي: غير صحيحة، وذلك نحو:

١ ـ [أُحِبُّ الكتبَ لاَ سِيَّمَا كتب النحو] ـ وذلك بإسقاط الواو. . وهو خطأ. .

٢ ـ [اشتريت الكتب سِيَّمَا كتب النحو] ـ بإسقاط (الواو) و (لا) النافية للجنس . . . وهو خطأ. .

٣ ـ [قرأت الكتب سِيَمَا كتب النحو] ـ بإسقاط (الواو) و (لا) النافية. . وبتخفيف (ياء) (سيَّ). . وهو خطأ.

وقد تنبه قدامى اللغويين لهذا التركيب، فقال «ثعلب»: يجب تشديد (ياء

---

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثالثة، العدد ١٠٣، ٢٤ تشرين الأول ١٩٩٢، ص: ٥٥.

سِيَّ) ودخول (لا) عليه، ودخول (الواو) واجبٌ. ومن استعمله على خلاف ذلك فهو مُخطىء..

وأظن أن فهم هذا التركيب لن يستقيم نهائياً إلاّ إذا أتقن القارىءُ إعرابه.. لأن الإعرابَ هو الأثر الظاهر أو المقدّر الذي يجلبه عامل ترتيب وحدات التركيب اللغوي في الجملة أو في العبارة..

وإذا سألني القارىءُ عن هذه (الواو) التي يبدأُ بها التركيب قُلتُ له إن اللغويين قد صنّفوها تصنيفات عدة لا تخرج عن الحرفية المبنية التي لا محل لها من الإعراب، والمتلونة داخل الحرفية، فهي: إمَّا حرف اعتراضٍ، وإمَّا واو الحال، وإمَّا واو الإستئناف، وإمَّا حرف زائد.. وهو أضعف الوجوه..

* * *

وأما الـ (لا).. فهي (لا) النافية للجنس، وهي حرف مبنيٌّ على السكون، ولا محل لها من الإعراب، ولكنها تعمل عمل (إنَّ) في نصب الاسم ورفع الخبر..

* * *

وأما (سِيَّ) فلها عدة وجوه، تغيّر من وظيفتها في هذا التركيب، كما تغيّر من الحكم الواقع عليها؛

١ - فهي قد تكون اسم (لا) النافية للجنس، منصوبة، وعلامة نصبها الفتحة، لأنها مضافة، وخبر (لا) محذوف، تقديره: موجودٌ.

وفي هذه الحالة تكون (ما) اسماً، موصولاً، مبنياً على السكون، في محل جر مضاف إليه..

وتكون كلمة (كتبُ) التي جاءت بعد (ما) خبراً لمبتدأ محذوف وجوباً، والجملة من المبتدأ وخبره لا محل لها من الإعراب لأنّها صلة الموصول.

٢ ـ وباستطاعتك دراسة هذا التركيب دراسة أخرى، وذلك باعتبار (سِيَّ) اسم (لا)، غير مضاف ولا شبيهاً بالمضاف، فتكون (سِيَّ) مبنيّة.. ويكون خبر (لا) محذوفاً تقديره: موجود.

وتكون (ما) حرفاً زائداً مبنياً، وتكون (كتبَ) بعدها مفعولاً به لفعل محذوف، تقديره: أعني أو أخصّ..

أي: أحبُّ الكتبَ ولا مثلما أخصّ كتب النحو..

وهنا أقوالٌ:

منها أَنّ ما بعد (ما) يكون منصوباً على التمييز إنْ كان نكرة،

ومنها أَنّ ما بعد (ولا سِيَّمَا) منصوبٌ على الإستثناء.

* * *

٣ ـ وباستطاعتك ان تُعربَ ما بعد (مَا) ـ إذا اعتبرتها حرفاً زائداً ـ مضافاً إليه، إذا اعتبرت (سيَّ) منصوبة، وعلامة نصبها الفتحة، ومضافة. وهذا التركيب: «أحبُّ الكتب ولا سيما كتب النحو»، قد يكون هو الأقرب الى معنى الجملة وتركيبها.. بل هو الأرجح..

* * *

فالقارىءُ مدعوٌ إذاً، الى استعمال هذا التركيب بأجزائه الأربعة، أي أن يقول (ولا سيّما).. والى نبذ الوجوه الأخر، حتى وإن وردت عليها بعض الشواهد الشاذة أو النادرة من الشعر، الذي يكون بناؤه قد ضغط على الشاعر فَضَحّى باللغة وأصولها وتراكيبها من أجل المحافظة على موسيقى شعره.. وأوزانه..

الــواقــع

المعاش والمعيوش والمعيش[1]

قلت مرة، في حَلْقَةٍ إذاعية:

«يجب أنْ تُؤخَذَ القواعدُ من الواقع المُعاش..»

فقاطعني زميل عزيز بسؤال إنكاري: «المُعاش أو المعيوش؟!!»

فقلت: «الواقع يُعاش.. فهو، إذا، مُعَاش..»

ولم نستطع متابعة الكلام على هذه القضية، لأنها كانت مسألة هامشية في حوارنا من جهة، ولأن معد البرنامج ومقدمه أعلمنا بانتهاء الوقت المخصّص، عندما شكر المشاركين.. فبقيت قضية «المُعاش» و «المَعْيوش» معلقة بين أستاذين في جامعة واحدة، وفي كلية واحدة.

ونسيت هذا الحوار المبتور.. ولم أتذكّره إلاّ عندما قرأت في كتاب يتصدّى صاحبُهُ للأخطاء اللغوية الشائعة، ويظن أن قولنا «الواقعِ المُعَاشَ» هو تعبير مغلوط، والصحيح، عنده، أن يقال: «الواقع المَعِيش» زِنة: المَتِين والمَبِيع؛ لأن «المُعَاشَ ـ عنده ـ هو الذي أعشناه، بينما المقصود الواقع الذي عشنَاه، أي المعِيش.

إن للمسألة ثلاثةَ أوجه، وسنعالجها في فقرتين:

* * *

أولاً: الكلام على المَعْيوش والمَعِيش:

يعرف دَارسو اللغة العربية أن كلاّ من «المَعيوش» و «المَعِيش» اسم

---

(١) مجلة **البلاد** البيروتية، العدد ١٠٤، السنة الثالثة، السبت ٥ جُمَادى الأولى ١٤١٣ هـ ـ ٣١ تشرين الأول ١٩٩٢ م، ص: ٥١.

مفعول للفعل المبني للمعلوم «عَاش»، فنقول: عاش يعيش، عيشاً، وعشية، ومَعيشاً، ومعاشاً، وعيشوشة»...

ولكن الأول منهما: أي «المَعْيوش» هو اسم مفعول في لهجة قبيلة «تميم» ومن لَفّ لَفَّها، ممن يَبْنُونَ مفعولاً من الفعل المعتل العين، سواء أكان هذا الإعتلال:

بالياء، وذلك نحو قولهم: تفاحة مطيوبة، وبسرة مطيوبة، وريح مغيوم ودجن مَغيوم، وثوب مَخْبُوط، وبر مَكْيول، ورجل مَدْيُون... **أم بالواو**، كقولهم: ثوب مصْووُن، ومِسْكٌ مدووف، وخاتمٌ مصووغ، وفرسٌ مقوود.

وأما الحجازيون ومَنْ لَفَّ لَفَّهم فيقولون كلّ ذلك بعد إعلاله، أي بعد تغيير حرف العلة بقلبه أو حذفه، أو إسكانه، وذلك نحو: مَعِيب، ومَخِيط، ومَكِيل، ومَزِيت، وثوب مَصُون، ومسك مَدُوف، وقول مَقول، وفرس مقود، وخاتم مصوغ.. الخ.

ويلاحظ أن **الصيغة التميمية** ـ ذات أصوات اللين غير المنسجمة ـ هي الأصل الذي تطورت منه الصيغة الحجازية لاشتمالها على أصوات لين منسجمة.. **كما ويلاحظ أننا لا نزال نستعمل في عاميتنا اللبنانية الصيغة التميمية كثيراً**... ممّا يشير إلى احتفاظ هذه اللهجات بالصيغة الأم، أي بالصيغة الأصل، دلالة على أصالتنا وعلى تحدرنا من قبائل عربية أصيلة..

ونستطيع أن نلخص الوجه الأول بقولنا: إنّ من قال «الواقع المَعْيوش» ليس بمخطىء، لأنه تلفظ بها **على لهجة تميم**... ومن قال: «الواقع المَعِيش» ليس بمخطىء، أيضاً، لأنه تلفظ بها حسب **لهجة الحجازيين**.

* * *

ثانياً: الكلام على «المعَيوش والمُعاش»:

تكلمنا، **في** الفقرة السابقة، على «المَعيوش»... وبقي أن ندرس

«المُعاش». . . فما «المُعَاش» الذي دفع بصديقنا وزميلنا الى التصدي لنا وإلى إنكار استعمالنا له؟

إذا أخذنا الفعل المضارع «يَعْيش»، وصغناه للمجهول، لقلنا: «يُعَاش»، على وزن: «يُفْعَلُ»، مثل: يُخافُ، ويُقال، وَيُقَامُ. . ويُعاش. .

ويعرف من درس الصرف أو التصريف أن المضارع المبني للمجهول، أي الذي لم يُسَمَّ فاعله، يتحوّلُ كما يلي:

الفعل	يُخَافُ	يُقَالُ	يُقَام	يُبَان	يُعَاشُ
اسم المفعول	مُخْوَف	مُقْوَل	مُقْوم	مُبْين	مُعْيَش
تحولت الى	مُخَوْف	مُقَوْل	مُقَوْم	مُبَيْن	مُعَيْش
ثم تحولت الى	مُخَاف	مُقَّال	مُقَام	مُبَان	مُعَاش

ويلاحظ أننا قد:

١ ـ ألقينا حركة المعتل على الساكن الذي قبله، فصار اسم المفعول: مُخْوف، مُقْول، مُقْوم، مُبْيَن، مُعْيَش. . . الى: مُخَوْف، مُقَوْل، مُقَوْم، مُبَيْن، مُعَيْش.

٢ ـ قلبنا المعتل ألفاً لانفتاح ما قبله، فصار إلى: مُخَاف، مُقَال، مُقَام، مُبَان، مُعاش. .

فقولنا، إذاً، في تلك الحلقة الإذاعية «يجب أن تؤخذ أمثلة القواعد الواقع المُعَاش» ليس خطأ، كما ظن صديقنا وزميلنا، وكما يظنُّ عددٌ من الذين يكتبون في الأخطاء الشائعة، لأننا، نقول: كما قلت يومها: «الواقعُ يُعَاش. . . فهو، إذا، مُعاش».

فاستعمالنا هو الإستعمال الصحيح. . بل هو أنقى أنواع الاستعمال اللغوي، لأننا لا نعرف، نظرياً وعملياً كلَّ الذين يعيشون هذا الواقع، ولا نعرف كيف يعيشون هذا الواقع، ولا نعرف كيف يعيشون. . فصغنا الفعل

الأجوف اليائي للمجهول: (يُعَاشُ» على وزن «يُفْعَلُ».. ويكون اسم المفعول منه ـ حكماً ـ على وزن «مُفْعَل»، ثم حولنا حركة العين الى الفاء، وقلبنا الياء ألفاً، فصار إلى: «مُعَاش».

فالمُعَاشُ، في مثل هذا الاستعمال، هو الوجه... وأما المَعْيُوش والمَعِيْشُ فكل منهما اسم مفعول للفعل المبني للمعلوم «عاش»، لكن الأول على لهجة التميميين والثاني على لهجة الحجازيين...

فهل يتمهل المخطِّئون قليلاً قبل إطلاق «الأحكام» التي يجانبها الإستعمال اللغويُّ، والمدونةُ اللغويةُ التي وصلتنا من الجاهلية وصدر الإسلام... والتي لا نزال نستعملها في عامياتنا اللبنانية استمراراً لاستعمال قويم مضى.. وتأكيداً على انتماء لا ريب فيه؟

ثَمَّ وثَمَّةَ و ثَمَّتَ[1]

قال لي صديق عالم: كنت أظن أن العرب يكتبون «ثَمَّةَ» بتاء مربوطة، ويقفون عليها بهاء السَّكت «ثَمَّةَ»، حتى وقعتُ على كـ ـب يرسمها بتاء مفتوحة «ثَمَّتَ»، فعدت الى معجم «لسان العرب» لابن منظور، فوجدته يوردها بالتاء المفتوحة، ويرسلها إرسال المسلمات، بقوله «وَثَمَّتَ، أيضاً، بمعنى: ثَمّ». . فما رأيُ استاذ العلوم اللغوية؟

قلت: إن العودة الى المعاجم العربية مفيدة، وقد تكشف لنا ما نجهله. . ولكننا مضطرون، على الرغم من ذلك، الى دراسة كتب علم اللغة العربية، ولا سيما كتب النحو والصرف، لأننا قد لا ندرك الوجه الذي أراده صاحب المعجم. . وقد نكون، أحياناً، ضحايا مُحَقِّقٍ غير متأنٍ، .أو ضحايا خطأ مطبعي، أو ضحايا سهو قد يقع فيه هذا المعجمي أو ذاك. .

ونحن نعرف أن «ثَمَّ - بفتح الثاء والميم المشدّدة - هي الأصل، ويستعملها العرب اسمَ إشارة الى المكان البعيد، المُنْزاحِ عنك، بمعنى هناك أو هنالك، بينما يستعملون (هنا) إشارة للمكان القريب. . وقد استعملت في القرآن الكريم أربع مرات إشارة الى المكان البعيد، وذلك في قوله تعالى:

- ﴿وَللهِ المَشْرِقُ والمغرِبُ فأيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ [البقرة ٢/ ١١٥].

- ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِيَن﴾ سورة الشعراء ٢٦/ ٦٤.

- ﴿وإذا رأيتَ ثَمَّ رأيتَ نَعيماً ومُلْكاً كبيراً﴾ سورة الانسان ٧٦/ ٢٠.

- ﴿إنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كريمٍ، ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي العَرْشِ مَكِينٍ، مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ سورة التكوير ٨١/ ١٩- ٢١.

و «ثَمَّ»، في كل هذه الآيات القرآنية المجيدة، ظرفٌ لا يتصرف، فلذلك

(١) مجلة البلاد البيروتية، العدد ١٠٥، السنة الثالثة، السبت ١٢ جُمَادي الأولى ١٤١٣ هـ ٧ تشرين الثاني ١٩٩٢، ص: ٥٣.

غَلَّطَ مَنْ أعربها مفعولاً للفعل «لَرأَيتَ» في سورة الإنسان. . . فهي مبنية دائماً على الفتح لإبهامها.

ويعرفُ دارسو اللغة العربية أنّ (الهاء) تُزاد زيادة مطردة للوقف بعد حركة بناء متوغلة في البناء، بغية تبيين حركة الميم، لأنها حركة لا تتغير في الإعراب، فكرهوا تسكينها لأنها حركة مبنيّ لازمة، ولأن ماقبلها ميم ساكنة، مثلها في ذلك مثل «أَيْنَهْ؟ = أينَ؟»؛ لأنها نون قبلها ساكن، وليست بنون تَغيَّرُ للإعراب، ولكنها مفتوحة على كل حال. فأجريت ذلك المجرى.

إذا عرفنا أن أصل «ثَمَةَ» كلمة «ثَمَّ» سهل علينا أن نقول إنَّ تاء التأنيث المربوطة تلحق اسم المكان المنزاح عنك «ثَمَّ»، فيقال: «ثَمَةَ» في الدرج، ويوقف عليها بالهاءِ؛ هاءِ السكت، فيقال: «ثَمَهْ».

فهذه (الهاء) زائدة في آخر الكلمة، محركة بحركة غير إعرابية، ويوقف عليها لبيان حركة الميم، وتُدرج في الوصل.. إلا إذا أجريت مجرى الوقف.. هذا هو الأصل الذي قال به اللغويون العرب.. وقد ذهب «أبو البقاء» في «كلياته» الى تأكيد هذه الحقيقة بقوله: «وقول العامة: «ثَمَّتَ» ـ بالتاء ـ من قبيح اللحن».. فهل نُخَطِّىءُ ابن منظور، الذي تفرد برواية «ثمَّتَ» ـ بالتاء المفتوحة ـ ونقول إنه وقع في «قبيح اللحن» أم أننا نجد له مسوغاً يصرفنا عن تخطئته؟

يعرف دارسو اللغة العربية أن للعرب في نطق تاء التأنيث، في حالة الوقف، منهجين، كما بيّنا في كتابنا «**المصطلح الصرفي: مميزات التذكير والتأنيث**»، وهذان المنهجان هما:

١ ـ منهج معظم القبائل العربية التي لا يتمهل أبناؤها في نطقهم، ولا ينتظرون، فتسقط تاء التأنيث في وقفهم، أو تُبدل هاءً، تسمى هاء السكت؛ لأن في الهاء همساً وليناً أكثر ممّا في التاء.. وهذا هو المنهج السائد اليوم.

٢ ـ منهج الذين ينتظرون، ويتمهّلون في نقطهم، ويُحَافظون على تاء

التأنيث في الوقف، فينطقونها (تاء)، ولا يسقطونها، ولا يحوّلونها الى هاء السكت، فيقولون: (يا أهل سورتْ البقرتْ)، أي: «يا أهل سورةِ البقرةِ»، و (ما أحفظُ منها من آيتْ)، أي: «من آية»، ويقولون: (وَضَعْتُهُ في المِشْكَات)، أي: «في المشكاة»، و (هذه جمْرَتْ)، أي: « جَمْرَه»، و (تلك جَنَّتْ)، أي: «جَنّة»، وكقول الراجز:

اللهُ نَجَّاك بكفّي مَسْلَمَتْ   من بَعْدِما وبَعْدِما وبَعْدِمت
صارت نفوس القوم عند الغَلْصَمَتْ   وكادتِ الحرة أن تُدعى أَمَتْ

أراد: «مسلمة» و «الغلصمة»، و «أمة»، فوقف بالتاء بدل الهاء، على طريقة **الطائيين** ـ عند «**الفراء** ـ»، **والحِمْيريين وبعض بني أسد بن خُزَيْمة** ـ عند **الخليل بن أحمد الفراهيدي** ـ، وآثار هذه اللهجة لا تزال مستعملة في لبنان، حيث نسمعُ من يقول: (إنّ الكنيستْ الشَّرقيتْ والغَربيَّت) و (ان المدرست اللبنانيتْ)... أي: (إنّ الكنيسة الشرقية والغربيّة) و (إنَّ المدرسة اللبنانية)...

ـ فهل يكون ابن منظور قد أخذ بلغة هؤلاء، فرسم التاء المربوطة، التي تقلب هاء في السكت، تاء مفتوحة، دون أن يشير الى أصحابها، ودون أن يشير الى المنهج الآخر؟

سواء عليّ أدرست أم فهمت [1]

لاحظت أن عدداً من الأدباء والكتّاب لا يستعملون تركيب التسوية، في مثل قولنا: سَوَاءٌ عليَّ أدرسْتَ أم فَهِمتَ استعمالاً صحيحاً، لأنهم يضعون «أو» مكان «أم»، فيقولون ـ خطأ ـ [سواء عليّ أدرستَ أو فهتَ]، مَثَلهم في ذلك مثل الذين أُوْلِعُوا بأن يقولوا [سواءٌ كان كذا أو كذا]، والصحيح أن يقال «سواء كان كذا أم كذا».

لقد تسرب الخطأ في استعمال هذا التركيب الى المعجمات العربية الأساسية، فقال صاحب «لسان العرب»، مادة «سواء»، [سواء عليّ قمت أو قعدت]، وهو سهو من ابن منظور رحمه الله.

إن معنى التسوية في مثل قولنا «سَوَاءٌ عليَّ أَقِمتَ أم قَعَدْتَ» لا يكون إلا بشيئين، يدركهما ابنُ اللغة سليقة، ويدرك، بحسّه اللغوي، أنه لا يجوز حذفهما أو حذف أحدهما، وهما:

١ ـ همزةُ التسوية، وهي حرفٌ مبنيّ على الفتح، لا محل له من الإعراب.

٢ ـ (أمْ)، وهي حرف عطف، مبني على السكون، لا محل له من الإعراب.

ويلاحظ أن (أمْ)، في تركيب التسوية هذا، تكون:

١ ـ متصلةً، لأنّ المتكلم لا يستطيع الاستغناء بما قبلها عمّا بعدها، كما لا يستطيع الاستغناء بما بعدها عمّا قبلها، لإفادتها العطف بعد همزة التسوية.

٢ ـ معادلةً؛ أي أنّ «أمْ» تعادل الهمزة في إفادة التسوية، فتكون (أمْ) مع

---

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثالثة، العدد ١٠٦، السبت ١٩ جمادى الأولى ١٤١٣ هـ ـ ١٤ تشرين الثاني ١٩٩٢ م ، ص: ٥٥.

الهمزة بمنزلة (أي).. ألا ترى أنّك إذا قلت: سواءٌ عليّ أدَرَسْتَ أم فهمت»، فقد سوّيت الأمرين عليك؟

ويلاحظ القارىء أنّ «أمْ» بعد همزة التسوية:

١ ـ لا تستحق جواباً.

٢ ـ وأنّ الكلام معها قابلٌ للتصديق والتكذيب، لأنه خبر.

كما يلاحظ أن «أمْ» الواقعة بعد همزة التسوية:

١ ـ لا تقع إلا بين جملتين، يكونان، دائماً، في تأويل المفردين.

٢ ـ وأنّ الجملتين قد تكونان:

أ ـ فعليتين، كقولك: سَوَاءٌ عليَّ أقمتَ أمْ قعدتَ.

ب ـ أو إسميتين، كقولك: سواءٌ عليَّ قيامُكَ أمْ قُعودُكَ.

ج ـ أو مختلفتين، كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صامتون﴾ سورة الاعراف، ١٩٣/٧، أي: سواءٌ عليكم دعاؤهم أو السكوت عنهم، وإنما قال (أم أنتم صامتون) ولم يقل (أم صمتّم) ليكون في مقابلة (أدعوتموهم) ليفيد الماضي والحال، فإن المقابلة كانت تدل على الماضي فحسب، وصورة اللفظ تدلّ على معنى الحال، ومثله قول الشاعر:

سـواءٌ عليـك الفقـرُ أمْ بـتَّ ليلـة
بـأهـل القبـا مـن نميـر بـن عـامـر

ولا يظنَّنَّ القارىءُ أنّ هذا التركيب منحصرٌ في المصدر «سواء»، الذي أقيم مقام الفاعل في مثل قوله تعالى: ﴿إنّ الذّينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهم ءَأنْذَرْتَهُمْ أمْ لَمْ تُنْذِرْهُم لاَ يؤمِنُونَ﴾ سورة البقرة ٦/٢، أي: سَوَاءٌ عليهم إنذارُك لهم أمْ عَدَمُهُ... بل قد تأتي همزة التسوية و (أمْ) العاطفة بعد (ما أبالي) و (مَا أدري) و (ليت شِعري) ونحوهن، وذلك كقولك.

ـ «ما أبالي أفهمتَ القضيةَ أمْ دَرَسْتَها»؛ لأنه وقع موقع (أي)؛ فكأنك قلت: ما أبالي أيّ هذين كان منك، وكقول الشاعر:

ولســـتُ أبـــالـــي بعـــد فقـــديَ مـــالكـــاً
امَـــوْتـــيَ نـــاءٍ أمْ هُـــو الآن واقـــع

ـ وكقولك: «ما أدري أأحْسَنْتَ الى صديقك أم أسَأتَ»

ـ «وَليت شعري أقام المسلمونَ بواجباتهم أم قَعَدوا».

إنّ ضابط همزة التسوية و (أمْ) العاطفة، في مثل هذه التراكيب، هو دخول الهمزة، همزة التسوية على جملة يصحّ حلول المصدر محلها، كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيهم أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لم تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ سورة المنافقين ٦/٦٣، أي سَوَاءٌ عليهم الإستغفارُ أمْ عدمُهُ، وكقولك: «مَا أبالي أقمتَ أمْ قَعَدْتَ»، أي: ما أبالي بقيامِك أمْ بِقُعُودك.

يا لَلْعَرَبِ.. وَيَا لَلْمُسْلِمِينَ[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

.. «وصلى الله على النبيّ الكريم..

«إلى الدكتور عصام نور الدين..

«أهدي اليك تحيةً تَليقُ بمقامك الكريم، وبعد..

«فإنيّ، بعد قراءتي، المجلة، مجلة «البلاد» الصادرة في ٧ ذو القعدة ١٤١٣ هـ، الموافق ٩ أيار ١٩٩٢ م، العدد/ ٨٠/، والتي رَوّجت فيها ما جرى بينك وبين الاستاذ «شكري»، حيث انتقد مقالاتك التي دعوت فيها العرب والمسلمين الى تطوير اللغة العربية الفصحى، حتى نصل حيث وصلت كل اللغى في مجال العلوم والثقافة.

«فقلت: لو قام مثقفو العرب والمسلمين بهذا الموقف، وعززّوا هذا الرأي، وناقشوه، ونفّذوه، لأنه ليس هناك رأي أبهر منه، لحُلت قضية المسلمين والعرب من ناحية.. ولكان هذا الموقف، من ناحية ثانية، قد شجعنا، نحن «**الأفارق**» على مواصلة الدراسة، دراسة العربية بحماسة أكثر من اللازم.. لأن المشكلة، عندنا، أننا نجد أنفسنا، بعد التخرج من المعاهد أو الجامعات [illegible]ة التي نعتمد عليها، عاطلين من كل حركات، وذلك بسبب اليأس عند الباقين.

والجديرُ بالذكر أن أبناء العرب، عندنا، يكرهون لغتهم الفصحى، ولا نعرف السبب، لأنك إذا لقيت أحدهم وكلمته بها (باللغة العربية الفصحى) يرد لك الكلام بالفرنسية، أو الإنكليزية، ظناً، أنهما هما لغتا الثقافة.. وبالعكس.. إذا لقيت الفرنسي وشافهته بلغته الفرنسية يفرح.. ويحتضنك..

ويحاورك كل المحاورة.. مع كونه عَدُوّك، وعدُو دينك.

«ومن العجب أن يحتقر الإنسانُ لغته ولغةَ دينه مائلاً الى لغة أعدائه وأعداء دينه.. ثم يعتبر نفسه من المواطنين المصلحين.

على كل حال، أيها الدكتور، نحن «الأفارق» نقف معكم وقفة رجل واحد، وسندعمكم متى طَلَبْتُم أن نُسهم في هذا الأمر الجليل.. ويوفقكم بالنجاح (...).

وتقبلوا مني جزيل الشكر والتقدير.

عيسى الحاج.

مدينة «غاونديري ـ الكاميرون».

نعم، يا أخي في الإسلام... والإيمان.. نعم أنا بحاجة إليك وإلى كلّ مسلم... والى كل عربيّ، لِنُسْهِمَ في إحياء استعمال لغتنا الشريفة.. وفي تعميمها بين العرب والمسلمين أولاً.. ثم بين جميع أبناء المعمورة ثانياً، لأننا نظن ظناً قوياً أنّ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وفي كل القارات، لن تقوى شوكَتُهم، ويرهب جانبهم، وتحترم إنسانيتهم.. إلا إذا عادوا الى أنفسهم فكانوا متحابين، متعاونين، متكاتفين.. ولن يكونوا كذلك إلا إذا كان العرب ـ وهم أصحاب الدعوة... وأبناء لغة الإسلام ـ متّحدين وأقوياء.. أي أن الوحدة العربية هي المقدمة الطبيعية للوحدة الإسلامية.. **فلا وحدة إسلامية دون وحدة عربية.. ولا وحدة عربية إسلامية إلا إذا كانت اللغة العربية ـ لغة الوحي.. لغة القرآن.. لغة الرسول الكريم ـ هي لغة العرب.. وهي لغة المسلمين.. يعبّرون بها عن حاجاتهم المادية والمعنوية في كلّ أمور معاشهم ومعادهم.. لأن الناس يتكلّمون كما يفكّرون، ويفكّرون كما يتكلّمون، ولأنّ اللغة هي التي تحكم نظرة أصحابها الى أنفسهم، والى الجماعات الأخر، والى الكون... وإنّ من يتخلّى عن لغته هو كمن يتخلّى عن هُويته.. وجلده.. ولون عينه.. ودمه.. ولله درُّ الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد)، حين قال في كتابه «فقه اللغة**

وسر **العربية**» (. . إن مَنْ أحبَّ الله أحبَّ رسولهَ المصطفى، (ص) ومن أحبَّ النبيَّ العربيَّ أحبَّ العربَ، ومن أحبَّ العربَ أحبَّ اللغةَ العربية التي نزل بها أفضلُ الكتب على أفضلِ العجم والعرب، ومَنْ أحبَّ العربيةَ عُنيَ بها، وثابرَ عليها، وصرفَ هِمَّتَهُ إليها. . ومَنْ هداه اللهُ للإسلامَ، وشرحَ صدره للإيمان، وآتاه حسنَ سريرة فيه: إعتقد أنَّ محمداً (ص) خيرُ الرسل، والإسلامَ خيرُ اللغات والألسنة، والإقبالَ على تفهمها من الديانة، إذ هي أداةُ العلم، ومفتاحُ التفقه في الدين، وسببُ إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل (. . .) ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها والتبحر في جلائلها ودقائقها، إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوّة الذي هو عمدة الإيمان لكفى بهما فضلاً». . .

أمّا من ضلَّ من العرب والمسلمين. . وابتعد عن نبعة الدين. . فإنه، يا أخي، مأخوذٌ بما تقذفه «الحضارة» الغربية الى بلادنا. . فاحتقر نفسَهُ أولاً، وقومَهُ ثانياً، ولغتَه أولاً وثانياً. . وهؤلاء لا يُضعفون عزيمتنا. . ولا يدفعون بنا الى اليأس. . بل يقوّون إرادتنا وإيماننا بالله وبما أُنزلَ الى نبّينا المصطفى. . ورسالتُكم لنا خيرُ دليل على ما نقول. . فها أنتم هؤلاء قد وقفتم معنا. . ولبيتم النداءَ. . فنرجو اللهَ أن يوفّقنا ويوفقكم في إتقان هذه اللغة الشريفة، وفي التكلّم بها، وفي نشرها. . . ونحن، يا أخي، جاهزون لمساعدتكم بما وهبنا اللهُ. . ونرفع دعوتنا ودعوتكم الى العرب والمسلمين القادرين على تلبية النداء مادياً لِيُسْهِموا في فتح المدارس. . وإنشاء الصحف والمجلات. وتوظيف المسلمين في الأمور التي يحتاجون فيها الى جهودهم. . بدل أن يستعينوا بغير المسلمين ممن هبَّ ودبَّ. . . ولأنّ المسلمين شركاءُ في ثلاث: في الماء، والكلأ، والنار. . كما قال نبيّنا الكريم. . ونستطيع أن نَفْهَمَ كلَّ كلمة من هذا الحديث الشريف على سبعة شروح. . بل على سبعين شرحاً، منها:

إن المسلمين شركاء في الماء ما ظهر منه وما بطن. .

وإنهم شركاء في الكلأ، أي في كل ما يُؤكل . . .

وإنهم شركاء في النار، أي في الطاقة، كالبترول والكهرباء وما الى ذلك . .

فلو اتبعنا سنة نبينا لَمَا حَلَّ بنا ما حلّ حتى الآن . . ولَمَا تَجَرّأ أعداءُ الله والإنسانية على تقتيل المسلمين في «الصرب» و «البوسنة» و «الهرسك» . . يُذبِّحون أبناءهم، ويَسْتَحْيَوْنَ نساء المسلمين . . ويغتصُبونَهُنَّ، ويحتجزونَهُنَّ حتى يَحْمَلْنَ منهم . . وحتى يَضَعْنَ أبناءً للقتلة والمغتصبين . . لتكونَ المصيبةُ أعظمَ . . . والبليةُ أعمَّ . . والمسلمون والعرب صاغرون . . ساكتون . . لا يحركون ساكناً . . ولا يثورون لدين أو لكرامة . . أو لعرض . . فَلّلِه أبوهم . . ويَا لَلْمُسْلِمِينَ . . وَيَا لَلْعَرَبِ . . ويَا لَلْدِين . . أَمَا مِنْ حَاكمٍ شَهْمٍ . . أَمَّا من نظام إسلامي يغيث هؤلاء المسلمين . . فلا يتركونهم فريسة للوحوش الصربية . . كما تركوا لغة القرآن فريسة لوحوش الحضارة؟!

كُفْءٌ وَأكْفَاءٌ[1]

عندما كنت أحاضر، في قاعة إتحاد الطلبة المسلمين، بتاريخ ١٥ جمادى الأولى ١٤١٣ هـ، الموافق ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩٩٢ م، سأل أحد الدكاترة الحاضرين عن التعبير الصحيح، من الصيغتين التاليتين: أَكْفَاءٌ أم «أكفِياء»؟

ولكنّ سؤاله جاء في أثناء المحاضرة فلم استطع إجابته عن سؤاله يومذاك.. ثم تكرر السؤال في أندية أخر فأجبت عن السؤال المطروح بقولي إنّ العرب قد قالت:

ـ هذا كُفْءٌ لفلانٍ: أي مِثْلُهُ في الحسب والمال والحرب والعلم وما الى ذلك..

ـ فالكُفْءُ على زنة: فُعْل، مثل: جُزء وَقُفل...

ـ وفي التزويج يقولون: هذا الرجل كفْءٌ لتلك المرأة، قال الشاعر:

فطلّقهـــــا فلســـــت لهـــــا بِكُـــــفْءٍ
وإلا يَعْـــــلُ مفـــــرقـــــك الحســـــامُ

وتُجمع كلمة «كُفْءٍ» على: أَكْفَاء ـ بفتح الألف، وسكون الكاف، وفتح الفاء المخففة ـ هذا هو الوجه..

وتقول العرب، أيضاً: فلان كَفِيئُكَ، وَكفِيءٌ لك، وَكُفْءٌ لك..

ـ فَالكُفيء: هو: النظيرُ والمثلُ، لأنه يدل على التساوي في الشيئين، قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكنْ لهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ سورة الإخلاص ١١٢/ ٤. فقال: كُفواً أو كُفُواً، لأن العرب قد تخفف «الكفْء» المهموز، وتقول: الكُفُو أو الكُفو.

---

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثالثة، العدد ١٠٨، السبت ٣ جمادى الثاني ١٤١٣ هـ ـ ٢٨ تشرين الثاني ١٩٩٢ م، ص: ٥٥.

ـ والتكافُوء، هو: التساوي، قال رسول الله (ص): «المسلمون أخوةٌ تَتَكافَأ دماؤهم»، أي كُلهم أكْفَاءٌ مُتَسَاوونَ.. فتَتَساوى دماؤهم..

واستعمل الإمام عليٌّ بن أبي طالب (ع) كلمة «أكْفَاء»، جمع «كُفْء»، عندما كتب الى معاوية قائلاً: «لم يَمْنَعْنا قَدِيمُ عِزِّنا، ولا عادِيُّ طَوْلِنَا على قومِك أن خَلَطناكُم بأنفُسِنَا، فنَكَحنا وأنكَحْنا فِعْلَ الأكْفَاءِ» أي فِعل النظير أو المثيل.

وتستعملُ العربُ، أيضاً، كلمة «كِفَاء» ـ بكسر الكاف وفتح الفاء المخففة ـ، فيقولون: فلانٍ كِفاءٌ لك، أي: مُطيق في المضادة والمُناوآة، قال حسان:

وجبـــريـــلُ أميـــنُ الله فينـــا
روح القُـــدس ليـــس لـــه كِفـــاء

يعني أن جبريل، عليه السلام، ليس له نظير ولا مثيل.. ويبدو أن الشاعر قد أخذ عَجُزَ البيت الشعري من حديث نبوّي، يقول فيه (ص): «وروح القدس ليس له كِفاء».

وأما قولُ العرب: «لا كِفَاءَ لهذا الأمر عندي»، فمعناه: لا أقدر على مكافأته..

وأما «الكفَاءُ» ـ بفتح الكاف والفاء المخففة معاً ـ فهي في مثل معنى «الكَفَاء»، قال الشاعر:

فَـــأنكحهـــا لا فـــي كفـــاءٍ ولا غِنـــى
زيـــادٌ أضـــلّ الله سعـــي زيـــاد

ويبدو لي أن الخطأ أصاب كلمة «أكفاء»، والتي هي جمع «كُفْء»، وهو قد يكون متسرّباً الى أبناء العربية نتيجة الخطأ في كتابة الاسم المفرد «كُفْء»، ورسمه رسماً يدفع القارىء الى قراءته قراءة منحرفة عن الأصل، إذا لم يكن قد تَحَصن من قبلُ بالسَّماع، لأن اللغة أصواتٌ.. وتؤخذ من

الشفاه والآذان.. ولا تؤخذ من الصُّحف بالعيون.

فقد جاء في لسان العرب، مادة «ك ف ي»، قولهم:

الكُفُوُ: النظير: لغة في: الكُفْءِ.

وقد يجوز أن يريدوا به «الكُفُوء» فيخففوا ثم يسكنوا..

إنَّ هذا الرسم قد جعل بعض الناس يتلفظّون بكلمة «كُفْءٍ» تلفظاً غير صحيح، وهو «كفوء» فإمّا أن يتلفظوا بها:

ـ كَفُوءٌ، على وزن: فَعُول، مثل: أَكُول، وَعَجُول.

ـ وإمَّا أن يتلفظّوا بها: كُفُوءٌ، على وزن: فُعُول، مثل: عُجُول وحُقول، وذلك نتيجة كتابتها كتابة غير صحيحة كما قلنا... أو نتيجة الخلط بين لهجات العرب وعدم تمييز بعضها من بعض..

يبقى أن نقول إنّ هناك فرقاً بين قولنا:

زيدٌ ذو كَفَاءةٍ في علمه.. وقولنا: عمروٌ ذو كِفاية في عمله..

لأن «**الكفاءة**» تعني المماثلة والمساواة، كما مر معنا، بينما تعني «**الكفاية**» الطاقة والقدرة والقوة واللياقة..

فهل تَتَمتَّع، أيها القارىء، بالكِفايةِ العصبيّة والعلمية لتحصل على الكَفَاءة العلمية والاجتماعية، فتتساوى بِسَدنةِ اللغة في كل زمان ومكان؟.

﴿فانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُنْذَرِينَ﴾[1]

(سورة الصافات ٣٧/ ٧٣)

صعد مِنبر إحدى الحسينيات خطيبٌ ارتكب، في خطبته، عدداً من الأخطاء اللغوية، وكان أبشعها الخطأ في آية قرآنية، فلم تسعني معارضته، شكلاً، وهو على المِنبر، صوناً لكرامة المعمَّمين.

أمّا الآيةُ القرآنية فهي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسيرُوا في الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الذينَ مِنْ قَبلِهِم﴾، سورة فاطر ٣٥/ ٤٤.. وقد أَصَرَّ هذا الخطيب على ترديد هذه الآية الكريمة، في خطبته، مراتٍ عدة، تجاوزت العشر، وكان، في كل مرة، يتلفظ بكلمة «عاقبة» منصوبة هكذا (عَاقِبَةَ)، مما نسخ ما جال في خاطري، عند نُطْقِهِ لها، للمرة الأولى، منصوبة، لأنني ظننت أنها زلة لسان.. فلما تكررت منه أيقنت أنها ليست زلة لسان منبرية، قد يقع فيهاالأغرارُ.. إنما هي خطأ عريقٌ، يضرب في أعماق هذا الرجل، وفي فكره..

لم يتحرّز هذا الخطيب من حساب الله، سبحانه وتعالى، له على تغيير كلماته، كما لم يتهيب الحاضرين الذين ما إن سمعوا خطأه يتكرّر، حتى أخذوا ينظرون اليه شزراً.. وتجاوز بعضُهم النظر الى اللغط.. والكلام.. لأنه لا حرمة للاحنِ بكلام الله أبداً.. فاضطُر هذا الخطيبُ الى «تدوير» خطبته، ليتمكن من مخاطبة هؤلاء «المشاغبين» الذين لم يلقوا إليه السمع، بعدما فَرط منه، في تغيير كلام الله مثنى، وثلاث، ورباع.. ولكنهم لم يحاوروه حفظاً لكرامة مَنْ يمثّل، واحتراماً لذكرى، ومنعاً من التباس أو حساسية قد تُثار عند أصحاب المناسبة.

---

(١) مجلة البلاد البيروتية، السنة الثالثة، العدد ١٠، السبت ١٠٩ جمادى الثانية ١٤١٣ هـ ٥ كانون الأول ١٩٩٢ م، ص: ٥٧.

لذلك رأيت الى محاورته، على صفحات هذه المجلة الغراء، آملاً أن تكون قراءته لها مختلفة عن «قراءته» لكلام الله - والعياذ بالله!! لأنه لا يجوز، شكلاً وشرعاً، أن يصدر ما صدر عمن صدر..

ولذلك نقول له بمحبة، وبهدف أعلناه، غير مرّة، على صفحات هذه المجلة، وهو العمل على صون لغة القرآن الكريم، باحترامها، وبدراستها دراسة علمية دقيقة ودائمة، بغية استخراج الأحكام التي تنتظم حياة المسلمين منها، في مشارق الأرض ومغاربها.. نقول لحضرة الخطيب الذي (زبّب وهو حصرم)، إنّ من حق كلمة (عاقبة)، الواردة في الآية التي استشهد بها حضرته، الرفع (عَاقِبَةُ)، وذلك لأسباب عدة، منها:

أولاً: إن واجب المسلمين هو ترديد كلمات الله، عزّ وجلّ، كما تواترت روايات علمائنا في نقل النصّ القرآني، كما تلفظ به رسولنا الكريم.. فلا يجوز لمسلم عاقل أن يُخطِىءَ في تلاوته.. فكيف إذا كان المخطىءُ مِمّن يُفترض فيه أن يكون حاملاً لهذا النص، وحامياً له، وناشراً له ولمضمونه ولأحكامه بين الناس؟؟

إننا نذكّر بأنه لا يجوز الانتقال من النص القرآني الذي وصلنا مشافهة عن أفواه العلماء الاثبات، الفصحاء الأبنياء، من التابعين، ومن الصحابة، ومن آل البيت، عن الرسول الكريم.. إلا الى رواية أخرى صحيحة السند الى الرسول (ص)، متواترة من أول السند الى آخره، وموافقة رسم المصحف المجمع عليه، أي المصحف العثماني، وموافقة وجهاً من وجوه العربية مجمعاً عليه، أو مختلفاً فيه اختلافاً لا يضرّ مثله..

أمّا خطيبُنا فلم يكن له نصيبٌ من هذه الروايات ومن تلك العلوم.. لأنه ليس من الذين يعرفون أنّ القراءات القرآنية - كما حدّدها أئمة القراءة - «لا تعمل، في شيء من حروف القرآن على الأفشى، في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل، وإذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية، ولا فشوّ لغة.. لأن القراءة سنّة متبعة، يلزم قبولها والمصير اليها»، كما يقول «الدّاني».

وقد وردت كلمة (عاقبة) مرفوعة، في الآيات التالية:

١ ـ ﴿وَلَقَدْ أرسَلنا فيهم مُنْذِرِين * فانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُنْذَرِينَ﴾ سورة الصافات ٣٧/ ٧٢ ـ ٧٣.

٢ ـ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا في الأَرْضِ فَيَنْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الذينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِم﴾ سورة فاطر ٣٥/ ٤٤، وسورة غافر ٤٠/ ٢١.

٣ ـ ﴿أَفَلَمْ يَسْيرُوا في الأرض فَيَنظُرُوا كيف كانَ عَاقِبَةُ الذين مِنْ قَبْلهم﴾ سورة غافر ٤٠/ ٨٢، وسورة محمد ٤٧/ ١٠.

يلاحظُ القارىءُ أنّ كلمة (عاقبة) جاءت مرفوعة، في كل الآيات التي استشهدنا بها، وكان حضرة الخطيب بغنًى عمّا نحن فيه الآن لو أحسن القراءة والضبط ليس غير.. أوْ لَوْ كلف نفسه ـ بلغة أخرى ـ قراءة النص قراءة متأنيّة.. وَلَكان رأى كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المتمهلين.

ثانياً: إعرابُ كلمة (عاقبة)، في قوله تعالى: ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقبة الذينَ من قبلهم﴾.

إن إعراب كلمة (عاقبة)، في التركيب الوارد في الآيات القرآنية التي ذكرناها هو: اسم (كان) الناقصة، التي تدخل على المبتدأ والخبر، فترفع الأول اسماً لها، وتنصب الثاني خبراً لها..

ولم نعثر لها على إعرابٍ ثانٍ..

فقراءةُ هذه الكلمة، في هذا التركيب الذي ورد في الآيات القرآنية التي أشرنا اليها، كلها بالرفع (عَاقِبَةُ).. ولا يخفى على لبيب أنّ الضمة فيها إشارة الى موقع الكلمة في هذا التركيب والى وظيفتها فيه..

فماذا يقول حضرة الخطيب؟؟

«أَللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا لا عَلَيْنَا»[1]

حديث شريف

يخطىء كثيرٌ من المذيعين والمحاضرين وأساتذة الجامعات في كلمة «حوالَي»، فيتلفّظون بها «حَوَالِي» - بكسر اللام - غير مدركين أنّ هذا الاستعمال هو خطأ لغوي، غير مبرر صدوره عن أستاذ جامعي مهما كان تخصصه؛ لأنّ القضية، في رأينا، هي قضية احترام اللغة الوطنية، أو القومية، أو الدينية - أنطلق من حيث شئت - المهم أن لا تخطىء في استعمال لغتك.. وهي اللغة العربية.. ولنا في الفرنسيين أو الألمان، مثلاً، أسوةً حسنة.. فإنّهم يمنعون أيّ باحثٍ - حتى ولو كان أجنبياً - من متابعة أبحاثه وتقديمها لنيل درجة علمية ما - كالماجستير أو الدكتوراه - إذا لم يكتب بحثَهُ بلغةٍ سليمة صرفيّاً، وتركيبيّاً، ودلالياً.. الخ.

والاستعمالُ الصحيحُ، لغوياً، في مثل هذه الحال، أن يقال: «وكان ذلك حَوالَيْ سنة...»، - بفتح الحاء والواو واللام جميعاً، و «بلغ عدد الجنود حَوَالَيْ...»، وقد قال **ابن السِّكِّيت**، في «**إصلاح المنطق**،» «**والخطيب التبريزي**» في «**تهذيبه**»، تقول: هم حَوْلَهُ، وحَوْلَيْه، وحَوَالَيْه.. ولا تقل: «حَوَالِيه» - بكسر اللام - أبداً..

فالحَوْل - كما يقول «**الخليل بن أحمد الفراهيدي** - »اسمٌ يُجمَع على «الحَوَالَيْ» - بفتح اللام - تقول: «حَوَالَي الدار»، كأنها، في الأصل: «حَوَالَيْن»، كقولك: «جَانِبَيْنْ»، فأسقطت النونُ، وأضيفت، كقولك: ذو مال، وأولو مال..

وقال «**الأزهريّ**:» يقال: رأيتُ الناسَ حَوَالَه، وحَوَالَيْه، وحَوْلَه، وحَوْلَيْه، فَحَوالُهُ وحدان - أي مفرد - حَواليْه، وأمّا حَوْلَيه فهي تثنيه: «حَوْلَهُ».

---

(1) مجلة البيروتية، السنة الثالثة، العدد ١١٠، السبت ١٧ جمادى الثانية ١٤١٣ هـ - ١٢ كانون الأول ١٩٩٢ م، ص: ٥٥.

ونستطيع بهذا أن نفهم حديث الاستسقاء «ألّلهُمَّ حَوَالَيْنا لا عَلَيْنا»؛ أي أللهُمّ أنزل الغيثَ حَوالَيْنا في مواضع النبات والزرع، لا علينا في مواضع الأبنية والسكن.

ونحن نحبُّ أن نذكِّر الكتّابَ، والمحاضرين، والأساتذة بذكر الرقم الذي يعنيه أحدُهم مباشرةً، كأن يقول: «وكانت ندوةُ مجلة «المنطلق» في الحادي عشر من جُمادى الثانية سنة ١٤١٣ هجرية..»، أما إذا لم يكن متأكداً من التاريخ، فيقول: «وأظنّ أنّ ندوة المنطلق كانت في الحادي عشر.. أو في الثاني عشر.. أو ما قبلهما.. أو ما بعدهما..» فإذا أراد المحاضرُ أن يقول إنّ ما يتلفظُ به واقعٌ حَوَالَي الرقم الحقيقيّ لا عليه مباشرة، قال: «حَوَالَيْ» ـ بفتح الحاء والواو واللام جميعاً ـ ويكون بذلك كمن يحومُ حَوْلَ البيت، بيتِ القصيد، دون أن يدخله ويطمئن فيه.. لأن معنى قولك «حَضَر ندوةَ مجلة المنطلق حَوَالَي المئة..» أنّ الحاضرين ليسوا «مئة».. بل قد يكونون تسعةً وتسعين.. أو مئة وواحداً.. ولكنهم ليسوا مئة بأيّ حال من الأحوال، وهذا ما لا يعنيه المحاضرون حسب ظنّي.. فلماذا يذهبون، إذاً، الى الكلام المحال، أي الكلام لشيءٍ غير محدّد، ويبتعدون عن الكلام المستقيم، وهو الكلام لشيء محدد لا لبس فيه.. ولا يكون كلامهم مستقيماً إلا إذا ابتعدوا عن الكلام المحال، وعن الغَلَط، وهو الكلام الذي يقع على شيءٍ لم يرده المتكلّم.. وعن الكذب، وهو الكلام على شيء يَغُرّ به المتكلمُ الآخرين.. وعن اللّغو، وهو كلامٌ لشيء ليس من شأن المتكلم..

أما «الحَوْلُ» الذي كانت مادة «حَوَالَيْ» جمعاً له، فهو: التحرك في دور، كما يقول ابن فارس في «مقاييسه»، فالحَوْلُ: العام، وذلك أنّه يَحُولُ، أي: يدور، تقول: حال الحولُ، وهو يحول حولاً وحؤولاً، وأحال الشيء: إذا أتى عليه حَوْل كاملٌ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أزواجاً وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِمْ مَتاعاً الى الحَوْلِ غَيْرَ إخراجٍ﴾ سورة البقرة ٢/ ٢٤٠، وقال

تعالى: ﴿والوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَينِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَة﴾ سورة البقرة ٢/ ٢٣٣.

ويقال: حالت الدارُ وأحالت وأحولت: أتى عليها الحَوْلُ، والدارُ المحيلة: هي التي غاب عنها أهلها منذ حول.. وأحولت أنا بالمكان، وأحلت: أقمت به حولاً كاملاً..

فالحَوْلُ، في اللغة، هو التَّحرك في دَور، وهو التحول عن حالة الى حالة أخرى، ومنه: استحلت الشخص: أي: نظرت هل يتحرك؟، والحيلة، والحويل، والمحاولة.. الخ، كلّها من طريق واحد، وهو القياس الذي ذكرناه لأنه يَدورُ حَوالَي الشيء ليُدْرِكَهُ، كما ينبه ابن فارس.

فهل تدرك، الآن، عزيزيَ القارىء، كيفية التَّلفظ بأصوات كلمة «حَوَالَي» ـ بفتح الحاء والواو واللام ـ ومعناها، فلا تدور حَوالَيْها.. بل تقعُ عليها مباشرةً، كما نطق بها واضعوها، للدّلالة على التحرّك في دور..، وتقول: أَللَّهُمَّ أنزل العزيمةَ فينا لا حَوَالَيْنَا... وأجعل، اللّهُمَّ، بأسَنا حَوَالَيْنا لاَ عَلَيْنَا..؟

اللغة العربية وحركة العصر[1]

● كثيراً ما سألني أصدقائي وطلابي ومعارفي عن قدرة اللغة العربية على مواكبة حركة العصر الحديث وما يعتمل فيه من مفاعلات إنسانية، وتاريخية، وثقافية، وعلمية، واقتصادية، وعسكرية، وسياسية.. الخ، وكانت أسئلتهم، في الأغلب الأعم، غيرَ استفهامية، أي أنّها لا تصدُر عن إنسان لا يعرفُ ويتلهف لسماع الجواب الكافي الشافي مِمّن يعرف.. بل كنتُ أشعر أنّها تصدر عن أناس تَخَلَّوْا عن إيمانهم بقدرة اللغة العربية ـ لغة القرآن الكريم، ولغة رسول الله، ولغة العرب، ولغة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ـ على أداء دورها في الإتصال من جهة، وفي تكوين الإنسان العربيّ والإنسان المسلم من جهة ثانية تكويناً ثقافياً وحضارياً ودينياً.. تَخَلَّوْا عن إيمانهم بقدرة لغتهم بعدما لاحظوا أنّ العرب قد يلجأون الى لغة أجنبية للتحاور فيما بينهم وللتحادث.. وبعدما اكتشفوا أن المسلمين قد يلجأون الى اللغة الإنكليزية للتفاهم، وللتعبير عن حاجاتهم، وللتكلم على الإسلام وقضاياه، وكأن اللغة بالإنكليزية أو لنقل اللغة الأميركية قد أصبحت هي لغة العروبة.. وهي لغة الإسلام.. لأنها تعبر عن قوة الدولار الأميركي وعن قدرة أهله العسكرية و «الحضارية»، والصناعية، والزراعية.. الخ، ولأنّ الرطانة بالفرنسية أو بالإنكليزية أو بالأميركية هي الدليل على العصرية، وعلى التقدمية، وعلى مواكبة العصر، وعلى التطلع الى المستقبل... وكأن اللغة العربية ـ عند هؤلاء النفر ـ هي لغة مُتْحَفِيّةٌ، لا يدرسُها إلا متخصّصٌ، ولا يتكلمُ بها إلاّ متخلفٌ، ولا يصدحُ بأصواتها إلاّ جاهلٌ لا يميزُ الماضي من الحاضر، ولا المستقبل من الماضي.. وبلغ الأمرُ عند بعض الناس أنْ قالوا إنّ العربية لغة الجنّة.. فَمَنْ أرادها فعليه انتظار الحياة الأخرى.. الحياة

---

(١) الضحى/ مجلّة توحيدية إسلامية شهرية، العدد العاشر، جمادى الثانية ١٤١٣ هـ/ كانون الأول ١٩٩٢، ص: ٦٠ ـ ٦١.

الدائمة.. أمّا في هذه الفانية فلا حظّ لهذه اللغة، ولا مكان لمن يتكلم بها، أو لمن يفكر بواسطتها..

- فهل اللغةُ العربيةُ قادرةٌ على مواكبة العصر أم لا؟

- وهل يستطيعُ أصحابُها - سواء أكانوا عرباً أم مسلمين - التعبيرَ بها عن حاجاتهم وعواطفهم وأفكارهم وكل ما يتصل بحياتهم الفردية والجماعية؟؟. بل هل يستطيع أبناء هذه اللغة التفكير بواسطتها؟

- فهل اللغةُ العربيةُ قادرةٌ على مواكبة العصر أم لا؟

- وهل يستطيعُ أصحابُها - سواء أكانوا عرباً أم مسلمين - التعبيرَ بها عن حاجاتهم وعواطفهم وأفكارهم وكل ما يتصل بحياتهم الفردية والجماعية؟؟.

- بل يستطيع أبناء هذه اللغة التفكير بواسطتها؟

يعرفُ كلُّ إنسان أنَّ حركة العصر حركة مندفعة كالسيل، فهي لا تهدأُ، ولا تستكينُ، بل تحملُ، في كلِ لحظة، أنباءَ اختراعات، ومصطلحاتِ علوم، ومناهجَ بحثٍ علمية جديدة، واكتشافات تهتكُ حُجُبَ الجهلِ والتخلف، بحيث تبدو «اكتشافات» الإنسان القديمة وكأنها تنتمي إلى عصور ما قبل الإنسانية والتاريخ، لبساطتها، وضآلة شأنها.. وهذه الاكتشافاتُ الجليلةُ المعاصرة لا يُعَبَّرُ عنها إلا بلغة.. بل لا تتبلورُ، حسب زعمنا، إلا بلغة، هي لغة المخترِعين، ممّا يعني، ضمناً وصراحة، أن اللغة، أيّ لغة، تعكس نظرة أصحابها إلى أنفسهم وإلى الكون؛ لأنّ كلّ قوم يتكلّمون كما يفكّرون، ويفكّرون كما يتكلّمون، فليس هناك، إذاً، لغةٌ لا تستطيع التعبير عن الاكتشافات العلمية.. ولكن قد لا يستطيع أهلُ هذه اللغة أو تلك التعبير عن العصر وحركته الفكرية والعلمية والثقافية.. إذا لم يواكبوا حركة العصر بعقولهم وزنودهم وحكمتهم؛ أي إذا لم يشتركوا في صنع هذه الحركة، وفي إغناء الجهود الإنسانية.. وانتظروا، صاغرين، أن يتصدّق عليهم النشيطونَ بما تنتجه عقولُهُم المتّقدةُ، وسواعُدُهم العاملةُ، وهم بذلك يمثلّونَ انسحابهم عن المسرح الإنسانيّ مهزومينَ.. مدحورينَ.. مذمومينَ.. لِتَخْلُوَ الساحةُ

أمام الأقوياء الذين يفرضون لغاتِهم، ومناهِجَهُم، وثقافاتِهم.. وأديانَهُم... وبضائعُهم، وَأسلحتَهُم، وتفوّقَهُم، وانتصاراتِهم المستمرةَ..

فاللغةُ لا تعجز، إذاً، عن التعبير إذا كان أصحابها ذوي شأن ومساهمة، ولنا في اللغة الأميركية خيرُ دليل على ذلك.. فهي، اليومَ، لغةٌ عالمية، تجاوزت حدود إنكلترا وحدود القارة الأميركية ليتكلمَ بها «كلّ» الناس تقريباً، وحتى في المجاهل.. بينما لم تكن هذه اللغة، في زمن ببعيد عنّا، شيئاً يذكر.. بل ولنا في لغتنا العربية خيرُ دليل على ما نقول، لأنّ دورها كان في الجاهلية مقتصراً على التعبر عن حياة أصحابها، الأعراب والعرب ـ في كلامهم اليومي، وفي خطبهم العسكرية، والدينية، والتفاخرية وما إلى ذلك، وفي أشعارهم، التي اعتبرتْ بحق «ديوان العرب»، ولكن هذه اللغة التي كانت سجينة الصحراء، وسجينة حاجات البدويّ وأفكاره.. هذه اللغة تفجرت، مع الإسلام، ثورةً لغويةً مستمرة، وثورةً حضارية، وثقافية، وعلمية، ودينية.. عندما اندفع أصحابُهَا، في مشارق الأرض ومغاربها، يعبّرونَ بها عن ذواتهم المتّقدة، بنور الإسلام ومفاهيمه ومناهجه في كل أمور الحياة.. فكانت اللغةُ العربية، يومذاك، تعبر عن أصحابها كما تعبّرُ أشعةُ الشمس عنها وتبّشرُ بشروقها.. بل وكانت الأفكارُ التي تحملها العربية ويحملها أهلُهَا كحرارة الشمس التي تعطي الحياةَ والخصبَ لكل أنواع الحياة النباتية والحيوانية والإنسانية.. حتى أضحت اللغة العربية لغةَ الفكر الإنسانيّ، وكان التكلم بالعربية، يومها، دليلاً على تفقه المتكلّم في أمور دينه ودنياه، وإشارةً الى تحضره، وعلامةً على سموه وارتفاع شأنه.

فهل يستطيعُ أبناءُ اللغة العربية وأصحابها، اليوم، الإنتقال من حالة المتسوّل، والمستهلك، والمنتظر.. إلى مستوى المشارك، والمنتج، والمبدع، والمتفوق، فيعبّرونَ عن كل ذلك باللغة العربية الفُصحى دون غيرها.. فتنتقل هذه اللغة ممّا هي عليه اليوم إلى ما يجب أن تكون.. علماً أنها تعكس نظرة أصحابها العرب والمسلمين الى أنفسهم وإلى العالم وإلى الآخرين.. كما تعكس المرآةُ صورة من يقف أمامها.. مع فارق بسيط،

ولكنه جوهريّ، وهو أن المرآة تبقى مرآة جامدة. . وأما اللغة فتضجُّ بالحياة، وبالخصب، وبالحركة المتطورة؛ لأنها هي الفكر، وهي وجهٌ من وجوه الإنسان. . أو هي هُويّته. . وذاته؟؟

القضية، إذاً، ليست لغوية خالصة لوجه الله والن[illegible]، واستيعاب الحضارة والثقافة المعاصرتين، والكلام بلغة الكتابة، وكتابة العلوم بلغة الكلام، وتوفير وقت المتكلم، والسامع، والكاتب، والمعلّم، والمتعلّم. . ودراسة اللغة دراسةً وصفية، بذاتها، ولذاتها، لأنها مادة تُمْكِنُ السيطرةُ عليها، ويستطيع أيُّ باحثٍ مدّرب أن يحلّلها إلى وحداتها الدنيا، ويستطيعُ، بعد ذلك، إعادةَ تركيبها. . إنمّا القضيةُ، حسب ظننا وزعمنا، هي قضية وجود الأمة العربية، والدين الإسلامي، أو اختفاؤهما من الوجود لِتَخْلُوَ الساحةُ للغرب، الذي لا يزالُ يحقدُ على العرب ـ سواء أكانوا مسيحيين أم مسلمين ـ ويحقد على المسلمين ـ سواء أكانوا عرباً أم غير عرب ـ لأنهّم شكّلوا سداً حضارياً، وثقافياً، وعسكرياً، واقتصادياً، وسياسياً، ودينياً في وجهه الحاقد على كل الحضارات غير الغربية. . لأنه استنتج بحقّ أنه لولا العربُ والمسلمون لاستطاع أن ينشرَ لغتَهُ، وثقافَتَهُ، وحضارتَهُ، وبضائعَهُ، في كل آسيا وإفريقيا. . ولأن البوذيةَ، مثلاً، قد لا تَسْتَطِيعُ ـ على الرغم من عراقتها وتجذرها ـ الصمود أمام الهجمات الغربية المنظمة. . ولا يمكن للغرب تدمير العرب أولاً، وتدمير المسلمين ثانياً، دونَ تدمير اللغة العربية، ودون إلغاء الحروف العربية، ودون تشويه قواعد اللغة العربية، التي استطاعت حفظ هذه اللغة من ألف وخمسمئة سنة، ولمّا تزل صالحةً للقيام بالمهمة الإنسانية المختزنة في عقول العرب، المتسامين فوق الدنايا. والملتزمين بمنهج المساواة الذي لا لبس فيه. . والمتحملين، مجتمعين، ثمن هذه الحرية سلماً أو حرباً، والمتساوين في أداة البيان الرحمانية. . فإذا اللغةُ العربيةُ هي اللسان. . وهي على مثال واضعيها سمّواً. . . وأنفةً وخلوداً.

ـ فهل يَتَّعِظُ العربُ والمسلمون من ابنعاث اللغة العبرية من رقادها،

ودحرها العرب ولغتهم، والمسلمين ولغة دينهم من فلسطين المحتلة..
فينخرطون، قبل فوات الأوان، في صنع العصر وحركته، ويعبّرونَ عن ذلك بلسانهم العربيّ المبينِ؟؟

اللسان العربي والوحدة الإسلامية [1]

الكلام على الوحدة الإسلامية، في هذه الأيام، كثير.. وهو كلام فكروي ـ إيديولوجي ـ يصدر عَمَّن التزموا الإسلام التزاماً سياسيّاً ودينياً.. وهو يصدر عن أصحاب النوايا الطيبة حيناً وعن آخرين حيناً آخر... ونحن لا نريدُ أن نطلق السؤال المأساويَّ، المُعَبِّر عن آلام اللحظة الراهنة وما تحمله من انقسامات «إسلامية» «إسلامية»، وعن واقع المسلمين، اليوم، في مشارق الأرض ومغاربها.. ولكننا نريد أن نسأل سؤالاً بسيطاً، وهو:

ـ هل هناك وحدة إسلامية إذا لم يكن اللسانُ العربيُّ المبينُ هو لسان المسلمين جميعاً؟

ـ ولنفترض، الآن، أن نَدوة إسلامية قد عُقدت في جزيرة محايدة قوميّاً، وتوافد إليها المسلمون من كلّ حدب وصوب.. فكان فيهم العربيُّ، والأَذَرَيُّ، والتركيّ، والفارسيّ، والهنديّ، والإفريقيّ، والسنديّ.. والسلوفاني.. الخ، فبأيّ لسان يتكلمون؟

إني أفترض بأنّ مسلمي كلّ بيئة، أو قوم، أو لون، أو ثقافة، أو أمة سيتحلّقون حول بعضهم ـ وكأنهم يَخْشَوْنَ الاختلاط بمسلمين آخرين لا يعرفونهم ـ وسيتكلّم كلٌّ منهم بلسانه ولسان أجداده وآبائه وبما لا يفهمُهُ الآخرون.. فإذا تخيلت «**برج بابل**»؛ حيث يقال إنّ الله قد بلبل ألسنة ساكنيه فلم يعد أيُّ إنسان، بعد تلك اللعنة، قادراً على الفهم من أيِّ إنسان آخر؛ استطعت أن تتخيل أصوات الأقوام المسلمين المجتمعين وأصوات محاوراتهم في ألسنتهم القومية.. ولكن القضية ليست هنا.. بل تكمن في افتراض أن مسلماً عربياً، مثلاً، قد أراد أي شيء من مسلم آخر غير عربي.. وأنَّ مسلماً إيرانياً قد أراد أن يتكلّم مع مسلم تركي، وأنَّ مسلماً سلوفينيا قد طلب من مسلم إفريقي شيئاً.. الخ. فبأيّ لغة سيتفاهم هؤلاء المسلمون

---

(١) جريدة السفير اللبنانية، الخميس ١٩/٨/١٩٩٣، ص: ١٣ [قضايا ورأي].

الذي يشهدون بأن لا إله إلا الله وبأن محمداً عبده ورسوله ونبيه؟!

إني أزعم أنّهم سيتكلّمون باللسان الإنكليزي أو بلسان «العم سام،» أو بلسان الفرنسيين. . وهذا الزعم ليس افتراضاً نظرياً. . بل هو حاصل دراسة ألسن الأقوام التي اعتنقت الإسلام ديناً. . ونتيجة قراءة تصريحات الزعماء السياسيين في هذا البلد «المسلم» أو في ذلك، ونتيجة الدعوات الى «تطهير» اللغات القومية من اللغة العربية، علماً أنه يفترض أن يكون تخاطب المسلم مع أيّ مسلم آخر ـ مهما كانت قوميته أو جنسه أو لغته ـ بلغة القرآن الكريم؛ بلغة النبي محمد (ص)، تطبيقاً لفرضية تقول: إن اللسان العربي هو لسان الاسلام والمسلمين. . أَوَ لَمْ يخاطب الله رسولَهُ بقوله: ﴿وإنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ☆ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ☆ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ☆ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍ مُبِينٍ)؟[1]، فوصف اللهُ رسولهَ بأبلغ ما يوصف به الكلام، وهو البيان، وقال جلَّ ثناؤه ﴿خَلَقَ الإنسانَ. . عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾[2]، فقدم ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه، وتفرد بإنشائه من شمس وقمر ونجم وشجر وغير ذلك من الخلائق المحكمة، والنشايا المتقنة، فَلَمَّا خَصَّ جلَّ ثناؤه، اللسانَ العربيَّ بالبيان عُلِمَ أنّ سائر اللغات قاصرةٌ عنه، وواقعةٌ دونهِ، كما يقول ابن فارس[3]، بل إن عالماً «نيسابورياً» ـ وهو الثعالبي ـ لم يكتفِ بالقول إنَّ العربيةَ خيرُ اللغات والألسن. . بل جعل الإقبال على تفهمها من الديانة؛ إذ هي أداةُ العلم، ومفتاحُ التفقّه في الدين، وسبُب إصلاح المعاش والمعاد[4].

* * *

---

(١) سورة الشعراء ٢٦/١٩٢ ـ ١٩٥.

(٢) سورة الرحمن ٥٥/٣ ـ ٤.

(٣) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق وتقديم مصطفى الشويمي، بيروت: مؤسسة بدران (١٩٦٣ م ـ ١٣٨٢ هـ)، ص: ٤٠ «باب القول على أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها».

(٤) الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، دمشق: دار الحكمة، الطبعة الثانية (١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م)، ص: ٩.

إن الكلام السابق يطرح إشكاليتين قديمتين، ولكنهما لا تزالان مستمرتين، وهما:

١ ـ إذا كانت العربيةُ لغةَ الإسلام.. فهل هناك مشكلةٌ في لغة العرب من غير المسلمين؟

٢ ـ إذا كانت العربيةُ لغةَ الإسلام.. فهل هناك مشكلة في علاقة المسلمين بعضهم ببعض لغوياً وقومياً؟!

القضية الأولى حُسِمَت حضارياً وتاريخياً وعلمياً.. فإذا كانت اللغة العربية هي لغة الإسلام والمسلمين.. فإنها كانت، قبل الإسلام، لغة العرب أجمعين.. وهي مستمرة، الى يوم القيامة، لغة العرب أجمعين، سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين أم وثنيين أم ملحدين.. الخ.. فالعربيةُ لغةُ العرب.. دون النظر الى أديانهم ومعتقداتهم، وليس أحد منهم أحقّ بها من غيره.. وهي صالحة للتعبير عن حاجات أبنائها المادية والفكرية والدينية، سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين أم غير ذلك.

وأما القضية الثانية فهي لا تزال محل النزاع.. وستبقى...

ـ فإذا قال المسلمُ العربيُّ بأن العربيةَ هي لغة الإسلام والمسلمين دون منازع، اقتداء بالرسول، وسيراً على سنته وسنة أصحابه وآل بيته.. اتهم بالتعصب القوميّ.. وقيل له إنك تصدر في دعوتك هذه عن نظرة استعلاء.. وتعصب قومي..

ـ وإذا تكلمَ العربيُّ المسلمُ بين المسلمين العاديين من غير الرسميين ومن غير العرب.. فإنك ترى المسلمين العاديين يتمسَّحون به، ويتباركون بصوته، وبلسانه.. لأنهم يَتَقَرَّبون الى الله ورسوله بالاستمتاع بموسيقى لغة القرآن الداخلية والخارجية، من فم إنسان يحسنها، ويتقنها...

ـ هل نستطيع الإستنتاج بأن المشكلة ليست قائمة بين المسلمين العاديين أنفسهم.. بل هي قارّةٌ في عقول قاداتهم وسياسييهم..؟!

قد يكون في التعميم تسرّعٌ لا يليق بالعلماء، لأن هناك أسئلة عدة قد تطرح نفسها بإلحاح، وذلك نحو:

ـ هل يتقبّلُ العالمُ الإسلاميُّ الدعوةَ الى جعل اللغة العربية لغةَ الإسلام الرسميّةَ على الرغم من تقصير العرب ـ سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين ـ في نشر اللغة وخدمتها وصونها؟!

ـ وهل ينظر المسلمونَ ـ في مشارق الأرض ومغاربها ـ الى هذه الدعوة من منظار إسلاميّ أم من منظار قوميّ وشعوبيّ؟

ـ وهل تكون نظرةُ الشعوب الإسلامية الى هذه الدعوة متطابقةً مع نظرة حكامها الذين قد يدعون الى «تطهير» لغاتهم الوطنية أو القومية من اللغة الإسلامية؟ ولماذا؟ علماً أن الدعوات الى تطهير تلك اللغات الوطنية أو القومية من اللغة العربية هي، في العمق، حقٌّ وطنيٌّ أو قوميٌّ من جهة، ودعوة الى تطهير تلك البلاد من الإسلام والقرآن من جهة أخرى.

إن هذه الأسئلة قد تُراود المفكرينَ وأهلَ العلم والنظر.. بل هي قد راودت بعضهم، أَوَ لَمْ يقل (...) [أحدُ القادة المسلمين من رجال الدين من غير العرب] قبل أن يرتقي سدة القيادة في (بلده)، وباللغة العربية، أمام وفود من خمس وثمانين دولة إسلامية:

«تستطيعُ اللغةُ العربيةُ أن تكونَ اللغةَ الإسلاميةَ العالميةَ»؟!؟

فإذا كانت اللغةُ العربية تستطيعُ أن تكونَ اللغةَ الإسلامية العالميةَ فلماذا لا يبادرُ قادة المسلمين وأُولُو الأمرِ منهم الى التكلّم بها في الاجتماعات الرسميّة والشعبية؟

إن سؤالنا السابق لا يعني أبداً أن نفرض على المسلم غير العربي أن يتخلى عن لغته القومية في بيته، وفي الأسواق، بل يعني أنه من الممكن أن تُجعل العربيةُ لغةَ المؤتمرات الإسلامية، ولغةً مصاحبة للغات الوطنية أو القومية في وزارات الخارجية وفي المعاملات الديبلوماسية وفي الإدارات

الرسمية في هذا البلد أو في ذاك . . . وبذلك . . . قد يكون الحلُّ أو الدواءُ للعصبيات القومية والعرقية والوطنية والمذهبية التي تجتاح العالم الإسلامي . .

فباللغة العربية يستطيعُ الفارسيُّ، مثلاً، أن يقنع التركيَّ بضرورة الوحدة الإسلامية، والدولة الإسلامية الواحدة . . أمَّا إذا أصرَّ كلٌّ منهما على استعمال لغته القومية فلن يصلا الى أيِّ نتيجة تذكر . . بل قد تزدادُ حدّةُ النعرة الطائفية والمذهبية والقومية عند كلٍّ منهما؛ لأنَّ كلاً منهما؛ سَيَظُنُّ أن الآخر يلبس دعوته القومية لباس الإسلام ليقمعَ قوميةَ الآخر . . وينعشَ قوميته هو . .

* * *

اللغةُ العربيةُ هي المنقذُ الوحيدُ من الإنقسامات والعصبيات والمذهبيات ـ وما أكثرها! ـ فهل نجانب الصوابَ إذا قلنا إن بيننا وبين نشر اللغة العربية حائطاً من الجهل والعصبية البغيضة ينبغي هدمه وإزالة آثاره وإلى الأبد؟

وهل نجانبُ الصوابَ إذا قلنا إنَّ الوحدة العربية هي المقدمة الأولى والطبيعية لنشر اللغة العربية أولاً . . ولوحدة الشعوب الإسلامية ثانياً باعتبار أن العرب كانوا ـ وسيبقون ـ هم أهل الدعوة، يتوحّد المسلمون بوحدتهم، ويقوون بقوتهم . . وينتصرون على الجهل ومسبباته بانتصارهم؟

إني أرى أن التحدي الكبير موجه للعرب ـ سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين أم ملحدين ـ وذلك بالإنتقال من جماعات وقبائل وشعوب تمتلك مقومات الوحدة والقوة وإمكانية الإسهام العلمية والحضارية والانسانية . . الى تجسيد هذه الوحدة تجسيداً حضارياً بعيداً عن أساليب الإغتصاب والضمّ والإلغاء والسحق . .

محمد علي شمس الدين:

افتح الباب قليلا يا ولد [1]

بدعوة من إتحاد الكتاب اللبنانيين أحيا الشاعر محمد علي شمس الدين أمسية شعرية حاشدة في معرض بيروت الدائم للكتاب ـ قرب مخفر حبيش حيث قدم قصائد له قديمة وحديثة. وقدم للأمسية الدكتور اللغوي عصام نور الدين وهنا التقديم:

* * *

ـ كيف يقدم أستاذ العلوم اللغوية شاعراً مبدعاً... وصديقاً؟

ـ اللغوي وَصَّافٌ... والشاعر رسّام وعازف موسيقي:

ـ اللغوي موضوعي... والشاعر ذاتي، عاطفي:

ـ اللغوي محافظ، يطّبق قواعده المستنبطة نتيجة استقراء ناقص، في الأغلب الأعم، ويفرضها أصولاً تحتذى..

والشاعر الحق لا يكون شاعراً إذا خرج على أصول الفنّ وقواعده.. ولا يكون مبدعاً إلا إذا تحرك داخل هذه الأصول التي تجمع عبقرية الأمة العربية..

ـ فالشعر العربي موسيقى ومعنى..

ـ وكلمات القصيدة توحي بمبدعها الفنان كما توحي أصوات اللغة وتراكيبها بوجهة نظر الأمة العربية وبإلهامها، وبنبوغها، وبعبقريتها، وبسر تفوقها..

ـ والشاعر لا يكون شاعراً إلا إذا استطاع أن يحافظ على قواعد التركيب

---

(١) جريدة الأنوار اللبنانية، الأربعاء ١ حزيران ١٩٩٤، ص: ٩، وهي في الأساس تقديمٌ قَدّمتُ به الشاعرَ محمد علي شمس الدين، في عصريّة شعرية ألقاها في «معرض الكتاب الدائم» بدعوة من اتحاد الكتاب اللبنانيين.

اللغوية، في الوقت الذي ينحرف فيه دليله اللغوي والشعري انحرافاً لا يقطع الصلة بالأصل الذي تواضعت عليه الأمة، أي أنه يبقى المجاز صلة وصل سالكة... وإذا فجر دليله اللغوي والشعري، وقطع صلته بأصل التواضع.. وإذا حطم تراكيب اللغة وأساليبها، وضيعها... وإذا افتخر بجهل القواعد والأصول... فاحكم، أيها السامع، بجهله، وتمنى لو أن في أذنيك وقراً.. لأن الشعر، عندنا، هو ما يطرب العربي.. ويدفعه دفعاً الى تغيير واقعه.

ـ العربي يعجبه شعر المتنبي، وأبي تمام، وامرىء القيس، وعنترة.. ومحمد علي شمس الدين...

ـ العربي لا تعجبه رطانة أولئك الذين يقولون إنَّ شعرهم لا يُفْهَمُ.. أو أولئك الذين يقولون: [سلحفاة.. دينصور.. سحاب.. عيون.. أرجل... نقط.. صفحة من النقط.. حذاء.. شاقول.. ماريّا مارسيدس..!!]

ـ العربي آمن بالاسلام.. عندما استمع الى القرآن..

ـ والعربي الشاعر، أيها الأحبة، يختار، في الملأ الأعلى، مدَادَ Rythme إلهامه الأصيل كاختيار النفس بنيتها، وهو يفضل هذا المِدادَ المجمل بتموّج عباراته Phrases، ويعين حدود هده التموجات.. بالكلمات التي تنطوي على الصور المرئية، بحيث يكتسي المداد ويزداد وضوحاً.. وبذلك يخلق الخيال المحقق لإلهامه.. وبنسبة ما يصيب الخيال حدسه، بجملته وبِتَفْصِيلاتِهِ، تتعين قيمة الشعر الفنية، فَيُكَافَأُ مبدعه قوة وفرحاً.. ونوراً... كما يقول «زكي الارسوزي». المؤلفات الكاملة، ص: ١/ ١٣٥.

ـ قلنا: الشاعر رسام وعازف موسيقى...

والعزف الموسيقى الشعري، عندنا، مزدوج المصدر.. وفي لحن واحد..

ـ الموسيقى الداخلية، والموسيقى الخارجية، وهاتان.. تتَنَاغمانِ.. تتفاعلان.. وتَنْقَلانِ الكلام العادي الى مستوى الشعر..

فالنثر قد يحتوي على الموسيقى الداخلية.. ويبقى نثراً.. ولا يُسمَّى شعراً..

ـ والنظم قد يحتوي على الموسيقى الخارجية.. ولا يرقى الى مستوى الشعر..

ـ ولم يمنع الوزنُ الشعريُّ الخارجي مبدعاً، **كالمتنبي وكأبي تمام**، من إنشاء الروائع..

ولم يجعل الوزنُ الشعريُّ **ألفية ابن مالك** شعراً.. بل هي نظم مثقل بالأفكار.. لا يبوح بعاطفة.. ولا يرسم طفلاً في عيني صبية تتحفز لصنع الحياة.. ولا يزرع العزم والإقدام في سرّ شاب يهمهم... ويتحفز..

ـ الشعر، أيها الأحبة، كالشعر الحقيقي يتدلّى جميلاً.. أَخّاذاً، سواء أكان أسود و «كقنو النخلة المتعثكل»... أَمْ أشقر كسبائك الذهب.. وحزم السنابل.. فيه نمو.. وفيه حياة.. وفيه وعد وبرق..

ـ أما ذاك الذي لم أجد له اسماً، مِمَّا يطلقون عليه ظلماً وبهتاناً، اسمَّ «الشعر الحديث» أو الشعر الحر ـ وهل يسمى الشعر شعراً إذا لم يكن حديثاً وحراً؟ ـ فإن بعضه كالشعر المستعار.. هو منزوف الطاقة والمائية.. لا حياة فيه.. وإذا أخطأ انسان ما، وأراد أن يداعب خصلات منه بأصابعه.. لم يَمْسَسْهُ ذاك التيار الكهربائي المحبب.. ولم يشعر بتلك الرعشة التي خبرها المحبون.. بل يشعر بالإشمئزازِ.. وتسري في مفاصله قشعريرة القرف.. وهو يحمل شعر «حبيبته» المستعار بأصابعه..

- الشِّعْرُ الحَقِيقيُّ ـ كالشعر الطبيعي ـ... ابن الحياة..
- والشِّعْرُ المزيف الملحون ـ كالشَّعْرِ المستعار ـ.. ابن الممات..

ـ الشِّعرُ الحَقِيقيُّ هو أهازيج المبدعين.. وهو بحرٌ وأمواج.. وصراع واقتحام.. بل هو التاريخ والرمز.. وهو المستقبل الموعود.. وهو اللذة والأمل المنشود.. وهو مفتاح الأسرار.. ومفسر الوجود.. أَوَلَمْ يقل **محمد**

علي شمس الدين: «كان يلزمني كي أفسر هذا العذاب.. قليل من الشّعر»؟
فيا «اميرال الطيور».. يا اميراً من الجنوب غنّى..

يا شوكة بنفسجية.. يا كفَّ العباس.. يا قمر الجنوب على التلال..

يا محمد.. يا علي.. يا شمس الدين.. ما هذه الشمس المرة؟

ـ أوَلَمْ تنتهِ من ترتيب هذا الفضاء، منذ ثلاثين عاماً، لكي نسكنه؟

«فانهض الآن./. وجس نحو الحقول./. ثم جُسَّ الأرضَ تَسْمَعْ نَبْضَهَا./. نَبْضَهَا العالي..

وميزان الفصول»..

* * *

أأنت قلت، يا «**محمد علي**»:

«أنت أقفلت المدى قبلَ الرحيل..

فافتح الباب..

قليلاً... يا ولد...»؟

نعم.. افتح الباب قليلاً بشعرك.. يا شمس الدين.. ويا قمر الشعر..

اللغة العربية السليمة في المدارس الرسمية التعميم الذي نحتاجه لإنقاذ ما تبقى[1]

وجه الرئيس الدكتور سليم الحص الى المدارس الرسمية تعميماً رقمه ٦٤/٨٨، ونشر في ٧ حزيران سنة ١٩٨٨، وذلك بصفته وزيراً للتربية الوطنية، ويتضمن:

«أولاً: ضرورة التزام المدرسين بالعربية السليمة في مختلف المواد التي تدرس باللغة العربية حتى تعتادها الناشئة.

ثانياً: العناية القصوى بعرض المختارات المقرر في المناهج، شعراً ونثراً، مع دراستها بعناية خاصة لكي يتمثل التلاميذ الصياغة العربية السليمة.

ثالثاً: التركيز الدائم والمستمر على قواعد اللغة العربية وزيادة الاهتمام بها، ولفت نظر التلاميذ الى ضرورة التقيد بها بعد خلق الحوافز لديهم لفهمها واستيعابها.

رابعاً: الحرص على أن تكون التبليغات والمراسلات الصادرة عن المدرسة، والخطب في الاحتفالات المدرسية أو التوجيهات الشفهية للتلاميذ، بلغة عربية سليمة، لما لهذا من أثر في التوجيه اللغوي السليم».

* * *

إن هذا التعميم يعبِّرُ عن التزام الدكتور الحص بلغته العربية، وهو الذي أجادها إجادة تامة سمحت له أن يكون كاتباً بليغاً، يعبِّرُ عن أفكاره ومشاعره، بلغة عربية تخاطب العقل والروح معاً، وقد يكون الرئيس الحص من السياسيين القلائل الذين يتقنون العربية نطقاً وكتابة..

ولذلك فإن المواطن يطمع أن يستكمل الرئيس الحص هذه الخطوة،

---

(١) جريدة البلاد اللواء البيروتية ١٧/٦/١٩٨٨، ص: ١٠.

بخطوات لاحقة.. تجعل اللغة العربية الرسمية رسميّةً قولاً وفعلاً، وفي جميع دوائر الدولة اللبنانية، وذلك عبر خطوات عدّة قد يكون من بينها:

١ ـ إجراء إمتحان لغويّ لكل من يريدُ التدريس، وفي كلّ التخصصات، وفي كل المراحل.. بما فيها المرحلة الجامعية.. فلا يعقل أن يأتي أستاذ التاريخ مثلاً، قبل أستاذ العربية أو بعده، لينسفَ كلَّ ما اكتسبه الطالب.. ولا يُقبلُ من أستاذ التاريخ أو الجغرافيا أو العلوم على اختلافها، أو اللغات.. أو حتى الرياضة البدنية.. أن يتكلّم بلغة «عامية» مع طلابه..

وأذكر هنا أن أحد «الزملاء» من أساتذة الجامعة اللبنانية قد ألف كتاباً في التاريخ.. وأردت كتابة بحث عنه.. لكني عندما قرأت الكتاب أُصبتُ بخيبة أمل.. لأن كتاب صاحبنا كان مليئاً بالأخطاء اللغوية.. بحيث أستطيع الزعم أنه لا يوجد في كتابه أيّ عبارة سليمة..

كما أذكر أيضاً كيف «يتفاخر» أساتذة اللغات الأجنبية، والعلوم بجهلهم اللغة العربية.. بل قد تجد بعض أساتذة اللغة العربية وآدابها، وفي المراحل كلها، يتفاخرون بجهلهم!!.

٢ ـ إعادة تأهيل الأساتذة كافة.. وفي المراحل كلّها. وذلك بإجراء دورات لغوية إجبارية.. بحيث تتوقف ترقية الأساتذة على نجاحهم بإمتحان اللغة..

أما الذين لا ينجحون فتتوقف ترقيتهم مهما كان تخصّصهم.

٣ ـ يصبح النجاحُ في اللغة العربية شرطاً أوّلياً لدخول الجامعة اللبنانية.. وبقية الجامعات الخاصة، سواءٌ أراد الطالبُ التخصص الأدبي أوالعلمي.. ونحن لا نأتي بجديد في هذا المجال.. إنما نكون قد قلدنا الجامعة الأميركية في بيروت، مثلاً، والتي تفرض على الطالب الذي يرغب في متابعة علومه في أحد فروعها.. تفرض عليه النجاح في إمتحان اللغة الإنكليزية E.E.E، كما تفرض الجامعاتُ الفرنسية النجاح في إمتحان اللغة الفرنسية وهكذا.. في كل بلاد العالم..

٤ ـ نطمح الى أن يعمم القرار أيضاً على وسائل الإعلام كلها، بحيث تصبح اللغة العربية الفصحى.. هي لغة النشرات الإخبارية.. واللقاءات.. والمحاضرات.. والندوات.. والمقابلات والمسرحيات.. الخ..

٥ ـ نطمح أيضاً بتعميم قرارات دولة الرئيس الحص.. وبصفته رئيساً للوزراء.. على قطاعات الدولة كلّها ودون استثناء.. فكل موظفي الدولة اللبنانية، وإلى أيّ قطاع انتمَوا، يجب أن يتقنوا العربية الفصحى نطقاً وكتابة.. فمن أراد أن يدخل وظيفة فرض عليه النجاح في إمتحان اللغة العربية.. ومن كان موظفاً تتوقف ته على نجاحه في الإمتحان اللغوي.

* * *

المقترحات التي خطرت لنا عند قراءتنا تعميم الرئيس الدكتور الحص.. وهي ليست نهائية.. وهي قابلة للنقاش.. قد يأتي غيرنا بمثلها أو بخير منها.. لكنها الغيرة على اللغة العربية.. لغة البلاد الرسمية.. هي التي دفعتنا إلى قول ما قلنا.. لأن اللغة ليست أداة توصيل فقط.. يعبِّرُ بها كلُّ قوم عن أغراضهم.. كما ذكر ابن جني.. ولكنها، أيضاً، هي التي تحكم تفكيرنا ورؤيتنا.. وهي التي تفرض علينا منهجاً معيناً في التفكير.. وفي النظر الى الكون والإنسان.. وهي التي تميزنا من غيرنا.. لأنّ الإنسان يفكّر كما يتكلّم، ويتكلّم كما يفكر..

فإذا عمّمت إقتراحات الدكتور الحص مضافاً اليها ما اقترحناه.. في لبنان، وفي الوطن العربي الكبير كلّه.. نكون قد أبرزنا خصائصنا ومميزاتنا.. وبلورنا أفكارنا.. واكتسبنا، بذلك، احترام أنفسنا.. واحترام العالم لنا...

التذكير والتأنيث:
قضية للعرب فوق التأنيث(١)

ـ ١ ـ

«الكلام على الكلام صعب، لأنه يدور على نفسه، ويلتبس بعضه ببعضه» بحسب تعبير أبي حيان الذي أورد قصة ذلك الأعرابي، عندما وقف على مجلس الأخفش، فسمع كلام أهله في النحو وما يدخل معه، فحار، وعجب، وأطرق، ووسوس، ثم قال:

«أراكم تتكلّمون بكلامنا، في كلامنا، بما ليس من كلامنا».

ـ فهل أراني أتكلّم، في مجلس مبدعين، بكلامهم، على كلامهم، بما هو من كلامهم؟ إن ممّا يسهِّلُ الأمر عليّ ويصّعبه أنكم مبدعون باحثون، وقد عانى كلٌّ منكم مشقة البحث المرتكز على القراءة الدائمة، والملاحظة الذكية اللاقطة، والنظرة النقدية الثاقبة.

لذلك اعتمدت، في عرض قضية التذكير والتأنيث، منهجاً متحركاً، يجمع بين المنهجية العلمية والابتعادِ، قدر الإمكان، عن جفاف البحوث الأكاديمية، لنستطيع جميعاً الإنتقال من مِحَنِ البحث إلى مِنحِهِ وعطاياه . . . وما أكثرها!.

إنّنا نعالج قضيةً أعطاها العربُ أهمية قد تفوق أهمية معرف الإعراب، إذ اعتبروا الفصاحةَ كامنةً في معرفة التأنيث والتذكير، لأنهم أجمعوا على ترك كثير من الإعراب، وأمّا تأنيث مذكر وتذكير مؤنث، فمن العجمة عند من يُعرب وعند من لا يعرب.

---

(١) جريدة النهار اللبنانية، الأربعاء ١٩٨٩/٣/٢٢، ص: ٩؛ والخميس ١٩٨٩/٣/٢٣، ص: ٩، محاضرة ألقيت في صور، في مجلس «أمسيات عامليّة»

ـ فما قضيّةُ التذكير والتأنيث؟

إن الذَّكر، لغوياً، خلاف الأنثى، والأنثى خلاف الذكر، وقد ورد اللفظان في القرآن الكريم بهذا المعنى: ﴿فلما وضعتها قالت: .ربي إنِّي وضعْتُهَا أنثى، والله أعلم بما وضعت، وليس الذكرُ كالأنثى﴾ آل عمران ٣/ ٣٦.

الذّكرُ، لغةً، يعني القوةَ، والشجاعةَ، والأنفة.

والذَّكَرُ من الحديد: أَيبسُهُ، وأشدُّهُ وأجوده، وهو خلاف الأنيث، وبذلك يسمى السيف مذكراً.

ـ وأما الأنثى فتقال لما يمتلك صفات السهولة.

فالأرض مئناث وأنيثة: إذا كانت سهلة، منبتة، خليقة بالنبات، وليست بغليظة.

والبلد الأنيث: الليّنُ السّهل.

وقيل: إنما سميت المرأة أنثى من البلد الأنيث؛ لأنها أَلينُ من الرجل. . فكأنها سميت أنثى للينها.

إن المعنى اللغوي يشير بوضوح، لا يقبل اللبس، الى قوة الذّكر وتفوقه، في الصّلابة واليبوسة، على الأنثى، ولكنه يشير، في الوقت نفسه، الى تفوّق الأنثى، في الليونة والسهولة، على الذكر، لأنها موضُع الحدث الهادف الى الإخصاب والحياة، أي أنها تتفوّقُ عليه في هذه الصفة لِتُكْمِلَهُ.

فالتأنيث، بحسب هذا الفهم اللغوي، بعيدٌ كلَّ البعد عن القوى الغيبية، السحر، والغموض، والخرافة، والدونية، المتمثلة بالطبقة الأقل قيمة ـ والأدنى، كما ظنَّ نفرٌ من المستشرقين مثل «رايت» «وفانسك» «والأب هنري فليش».

بل هو وضع للأمور في نصابها، وإلا فكيف توصل العربيُّ الى تشبيه الأرض المنبتة بالمرأة، فسماها: «الأنيث» إذا لم تكن منهجية الإخصاب

والإنبات والتطور هي التي حكمت تفكيره منذ القدم؟

ألاَ نستطيعُ ربطَ مميِّزات التأنيث؛ أو لواحقه الثمانية [وهي التاء المربوطة، والتاء المفتوحة، والألف والتاء، والألف المقصورة، والألف الممدودة، والياء، والكسرة، والنون]، بالزيادات التي تحققها المرأة في المجتمع عن طريق الإخصاب والتكاثر؟

ألاَ تشبه هذه اللواحق أولاد المرأة يلحقون بها أينما ذهبت وكيفما إتجهت؟

ـ أَلَمْ تحكم المرأةُ المجتمعُ، في فترة الأمومة، زمناً طويلاً جداً، لأنها كانت تتحكّمُ في اللواحق والأصول معاً؟

ـ أَلَيْسَ من المعقول أن تكون إضافةُ لواحق التأنيث أو علاماته، أو مميّزاته، الى الألفاظ المؤنثة، نوعاً من تعظيمهنَّ وتبجيلهنّ والخوف منهنَّ، والتوق إليهنّ؟

ـ وهل نستطيعُ أن نعتبر تأنيث العربيّ أسماء آلهته، في الجاهلية، قبل الإسلام، مثل «اللات، والعزى؛ ومناة الثالثة الأخرى» حطاً من قيمتها، ووضعها في الطبقة الدنيا، أو أنّثَهَا لعظمتها، ولإعتقاده أنها قادرةٌ على كلّ شيءٍ بما فيه الإخصاب والإنبات؟

ـ وهل نستطيعُ أن نعتبرَ تأنيثَ العربيّ أسماء القبائل العربية حطّاً من قيمتها، أو أنّثَهَا لعظمتها وقدرتها على وهبه الحياة والأمن والهُوية؟

إن دراسة المذكر والمؤنث من الحيوان، أي المذّكر الحقيقي، والمؤنّث الحقيقي، تعتبر المفتاح المنهجي لدراسة سير اللغة العربية في تقبل فكرة المُمَيّزَ، وإلحاقه بكلمات كانت دون مميّز، في فترة زمنية ما، مثل: انسان، عجوز، زوج، رجل، غُلام، بعير، عقرب، برذون، أسد، سنور، هرّ، قطّ، فرس، ثعلب، ذئب، قنفذ، عنكبوت الخ. كما تكشف ارتباط تطور اللغة بتطور أصحابها.

فالعربيُّ، لم يكن يستطيع التمييز، في بداية تكونه اللغوي، بين المذكّر والمؤنّث، ولم يكن محتاجاً الى هذا التمييز. فأطلق لفظة «الحمار» لتدلَّ على «الحمار» المذكر والمؤنث، ولفظة «الأسد» لتدل على المذكر والمؤنث، وهكذا. ثم تطورت اللغة بتطور أصحابها، وارتقت بإرتقائهم بعدما امتلكوا الوسائل العقلية والمادية والحضارية والثقافية التي تمكّنُهُم من التمييز.

ثم جاءت الحاجةُ المفجِّرةُ لعبقريتهم، فصنّفوا الحيوانات، وميّزوا مؤنثها من مذكرها بلفظة للمذكر، وبأخرى للمؤنث، فأطلقوا، في البدء، كلمة: إنسان، على الرجل والمرأة، وكلمة «بعير» على الجمل والناقة.

ثم قالوا، في مرحلة ثانية، بعير للذكر (أشير، هنا، الى أن الكلمة بقيت تحتفظ بدلالتها على المؤنث أيضاً)، وناقة للأنثى.

كما أطلقوا، ربما من قبل، كلمة «رجل» للدلالة على الذكر، «وامرأة» للدلالة على الأنثى.

ثم ارتقوا، في مرحلة ثالثة، الى التمييز بين المذكر والمؤنث بمميّز التأنيث، فقالوا: إنسان وإنسانة، رجل ورجلة، امرؤ وامرأة زوج وزوجة، شيخ وشيخة، عجوز وعجوزة، عقرب وعقربة، ضبع وضبعة، جيأل وجيألة، برذون وبرذونة، أسد وأسدة، أرنب وأرنبة، سنور وسنورة، هرّ وهرة، قطّ وقطة، فرس وفرسة، ثعلب وثعلبة، ذئب وذئبة، قُنفذ وقنفذة، عنكبوت وعنكبوتة، جرذ وجرذة، خنفس وخنفسة، حرباء وحرباءة، نَسِرٌ ونسرة، غراب وغرابة... الخ.

ويلاحظُ أنّ اللغة العربية قد سلكت منهجين متقابلين، ولكنهما متناغمان ومتكاملان لتأدية غرض واحد، وهو استعمال المميّز، بغية التفريق، لغوياً، بين المؤنّث والمذكّر، بعدما كانت لجأت الى وضع لفظة للمذكّر، وأخرى للمؤنث.

- ٢ -

المنهج الأول: السير من التذكير الى التأنيث، كقولهم: رجل ورجلة/ غلام وغلامة/ زوج وزوجة، الخ.

والمنهج الثاني: السير من التأنيث الى التذكير، وذلك كنزعهم مميّز التأنيث «التاء» من مثل: «بقرة» جرادة، غنمة، وهذه الألفاظ أكثر من أن تحصى، وكانت كلٌّ منها تدلّ على المذكّر والمؤنّث. وهذا يفرض علينا الصبر، والأناة والدقة، لأن التاء المربوطة، في مثل هذه الألفاظ، ليست عند بعضهم، مميّز تأنيث، لأننا نقول: الدابة اشتريته، والعطاءة رأيته، والشاة أعجبني. أو ليست للتأنيث المحض، إنما أرادوا الواحد، فكرهوا أن يقولوا: عندي: شاء، وبقر، وجراد، وهم يريدون الواحد، فلا يقع بين الواحد والجمع فصلٌ، فجعلت «التاء» ـ أو الهاء كما يسميها بعضهم ـ دليلاً على الواحد.

ولاحظنا، من قبلُ، أن هذه التاء المربوطة، التي تدل على الواحد، تدل، في الوقت نفسه، على المذكّر والمؤنّث، ما يشير الى مرحلة الاضطراب والفوضى التي سادت اللغة العربية. إذ كيف تكون تاء التأنيث غير دالة على التأنيث إنمّا تدل على الوحدة؟! وكيف يستطيع أبناء اللغة أن يميّزوا، في استعمالاتهم اللغوية، المذكّر من المؤنّث ، في لغة جمعت لهجات القبائل، دون تمييز؟ **فأهلُ الحجاز** يؤنّثون هذه الألفاظ وأمثالها فيقولون: هي البقر، وهي النخل، وهي البسر، وهي التمر. فهم يؤنّثون كلّ جمع واحده بالهاء وجمعه بطرح الهاء. وربما ذكروا، والأغلب التأنيث. وأما **أهل نجد** فيذكّرون ذلك كله وربّما أنثّوا والأغلب التذكير؟!

يلاحظُ المتتبعُ لتطور استعمال هذه الألفاظ أنَّ الناطقين باللغة العربية قد كَفّوا عن استعمال الشاة، والبقرة، والجرادة، والسحلة، والحية، والبطة، والحمامة، والنعامة، والدجاجة، والنملة، والفأرة، والبومة، والناقة، وما جاء على مثالها للدلالة على المذكر والمؤنث والوحدة في الوقت عينه.

ويلاحظ المتتبعُ لكلام العرب أن القبائل العربية لم تتفق كلّها على أن هذه الكلمات المنتهية بالتاء تدل دائماً على التذكير والتأنيث، بل نرى بعضها قد أسقط التاء منها للدلالة على المذكر، وأبقى التاء للدلالة على المؤنث.

وتعدُّ هذه الخطوة مرحلة من تطور اللغة ذات شأن عظيم، لأن أصحابها يعبّرون بهذه الأصوات عن أغراضهم، وهذا هو تفسير قول الفرّاء: «وربما جعلت العرب عند موضع الحاجة الأنثى مفردة بالهاء، والذكر مفرداً بطرح الهاء، فيكون الذكر على لفظ الجمع، من ذلك قولهم: رأيت نعاماً أقرع، ورأيت حماراً ذكراً، ورأيت جراداً على جرادة، وحماماً على حمامة، يريدون ذكراً على أنثى».

بل إن الكسائي لم يقف عند ألفاظ معدودة منها، ووقف عليها جميعاً بطرح (الهاء) للدلالة على المذكر. قال الفراء: «سمعت الكسائي يقول: سمعت كل هذا النوع من العرب بطرح الهاء من ذكره إلا: رأيت حية على حية، فإن الهاء لم تطرح من ذكره، وذلك أنه لم يقل: حية وحيّ كثير، كما قيل: بقرة وبقرٌ كثير».

ومع ذلك يستنتج من كلام الكسائي أن العرب قد قالت، حية للأنثى وحيّ للذكر، ولم تكثر من استعمالها.

فالتاء المربوطة لم تعد تدلّ على التذكير والتأنيث مجتمعين، وتخصصت التاء لتدل على التأنيث، وإن كانت تدل على الوحدة في الوقت عينه.

* * *

وإذا احتج بعضُ اللغويين بالقول إن التأنيث والتذكير ـ دون مميّز التأنيث ـ لغة بعض العرب، وإن التأنيث والتذكير ـ بِمُمَيِّزِ التأنيث ـ لغة بعضهم الآخر، فإننا نقول لهم إن من حق اللغة علينا أن نأخذ بالأقيس والأيسر، والأقرب الى الفطرة، علماً أن كل ما ورد عن العرب جاز القياس عليه، وجاز انتحاء سمته، مع التأكيد على أن القرآن الكريم، وهو أوثق نص

عربي يستطيعُ الباحثُ الركونَ إليه، يستعمل ألفاظاً عدّة ممّا ذكرنا، مذكّرة تارةً، ومؤنّثةً تارةً، كقوله تعالى: ﴿تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾، فذكّر. وفي مكان آخر أنّث. ويجوزُ لنا الاحتجاج بلغات العرب جميعاً، أو ببعضها، وكلّها حجة كما يقول ابن جني، سواء استعمل الباحث الأكثر شيوعاً، أم الأقلّ.. فالباحث لو استعمل أياً من اللغتين، أو اللغتين معاً، أو اللغات جميعاً، لم يكن مخطئاً لكلام العرب، لكنه قد يكون مخطئاً لأجود اللغتين. وكيفما تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيبٌ غير مخطىء، وإن كان غير ما جاء به أو نطق به خيراً منه، كما يقول ابن جني.

ألاَ يحقُّ لنا، نحن الذين نحتاج كلّ شيء أن نفيد من هذه الثروة الضخمة، ومن تلك الملاحظات الذكية الثاقبة، لنجعلَ من لغتنا آلةً مطواعة نعبّرُ بها عن أغراضنا وحاجاتنا؟

* * *

الإجابة عن هذا السؤال المنهجي جاءتنا من جنوح العربية الى التخلّص من حالة الإرتباك والفوضى عندما عمدت الى منهج صارم في التقعيد لظاهرة التذكير والتأنيث في اللغة العربية.

فإتجاه اللغة، إذاً، الى التقعيد لهذه الظاهرة، وأمّا مَا تبقى من آثار اللهجات المختلفة، أو مراحل التطور الغابرة، فيحفظ ولا يقاس عليه، وقد لحظ أئمة اللغة والنحو هذا المنحى، فقال الفراء ،المتوفى سنة ٢٠٧ هـ، جازماً:

«وقد قالت العرب حروفاً بنت فيها الأنثى على الذكر، وقد كانت الأنثى في ذلك مسماة باسم يؤدّي عن تأنيثها، فقالوا: غلام وجارية، وشيخ وعجوز، فأدّت الجارية عن نفسها، ثم قالوا: غلام وغلامة/ شيخ وشيخة/ رجل ورجلة/ فلا تنكرَنّ أن يبنى مؤنّث على مذكّر قد كان له اسم سواه مثل ما وصفت لك».

* * *

بل إن مميزّ التأنيث، «التاء»، قد لحق بالصيغ التي قال النحاة واللغويون إنها مختصة بالأنثى دون الذكر، ولا يلحق بها مميّز التأنيث، ونستطيع الإشارة الى:

صيغةَ «**فَعْل**»، قالوا: امرأة مَغْصَ ومَغْصَة، ورَهَو ورَهْوة، وأرض قَفْر وقَفْرة.

ـ «**فِعْل**»، قالوا: بعير نِقْضٌ وناقة نقْض ونقْضَة. رجل نِضْو وامرأة نِضْو ونِضْوَة. ناقة هِرْط وهِرْطَة، وريح صِرٌّ وصِرَّة، وشَهْدٌ هِفٌّ وهِفَّةٌ.

ـ «**فاعل**»، سُمع قول بعضهم: امرأة حائِضٌ وحائِضَةٌ، طَالِقٌ وطَالِقَةٌ، حَامِلٌ وحَامِلَةٌ، الخ.

مُفْعِل: امرأةٌ مُرْضِعٌ ومُرْضِعَة، ومُحْمِقٌ ومُحْمِقَةٌ، ومُكْيِسٌ ومُكْيِسةٌ.. إلخ

ـ «**فُعْلُول**»: امرأة عُطْبُوْل وعُطْبُولَة، ورُعْبُوب ورُعْبُوبة، وشُغْمُوم وشُغْمُومة.

ـ «**فَعْلَل**»: امرأة سَلْفَع وسَلْفَعَة، وبَلْقَع وبَلْقَعَة.

«**فَعُول**»: امرأة مَلُول ومَلُوْلَة، فَرُوق وفَرُوقة، لَجُوج ولَجُوْجَة، عَرُوف وَعَرُوفَة، الخ.

«**فَعِيل**»: امرأة قَتِيل وقَتِيلَة، ستِير وستِيرَة، رَقِيق ورَقِيقَة.

«**مِفْعَال**»: امرأة مِنْجَاب ومِنْجَابَة، مِفْضَال/ مِفْضَالة، مِعْطَاء/ مِعْطَاءَة.

«**مِفْعِيْل**»: امرأة مِغْلِيم ومِغْلِيَمة/ مِسْكين ومِسْكِينة/ الخ.

بقي أن أشير، أخيراً، الى دخول مميّز التأنيث «التاء» على الكلمات المحايدة، أي المذكّرة أو المؤنّثة من غير الحيوان، لتدلَّ على الأنثى، أمّا ما لم يتصل به مميّز التأنيث فإنّ العرب قد تجرأت على تذكيره.

وقد صدق هذا الحكم على مئات الكلمات التي درستُهَا، والتي تدلُّ

على أعضاء الإنسان، وأدواته وأشيائه، وما أثار انتباهه أكثر من غيره.

فكل ما ليس بمؤنّث حقيقي، ولا يحمل مميّز تأنيث، مذكر لغوياً، فإذا أردنا تأنيثه، أدخلنا عليه مميز التأنيث التاء، كقولنا:

ـ هذا العنق، وهذا العضد، وهذا اللسان، وهذا الفؤاد، وهذا العاتق، وهذا القفا، وهذا المعيّ، وهذا الذراع، وهذا المتن، وهذا العجز، وهذا البطن، وهذا الرحم، وهذا الحال، وهذا الطباع، وهذا الإبط، وهذا الإبهام، الخ...

أمّا ما نُسِبَ الى بعض القبائل، أو بعض العرب، أو بعض هذه القبيلة أو تلك، من تأنيث الألفاظ السالفة فليس المُؤَنِّثُ بمخطىء، وإن كنا ندعو الى حفظه دون القياس عليه. وقد لاَحظ الفراء ذلك، ولفظ حكماً علمياً صارماً وصائباً بقوله:

«والعرب تجترىء على تذكير المؤنث إذا لم يكن فيه علامة تأنيث».

وحفظت لنا أمات الكتب العربية تذكير العرب لألفاظ قال النحاة واللغويون إنها لا تذكّر، وذلك كقولهم:

هذه العين وهذا العين، هذه العضد وهذا العضد، هذه الكف وهذا الكف، هذه الضلع وهذا الضلع، هذه العجز وهذا العجز، هذه الكراع وهذا الكراع، هذه النفس وهذا النفس، وهذه الذراع وهذا الذراع... الخ.

إن استعمال هذه الألفاظ مذكرة ومؤنثة يؤكد ملاحظة الفراء القائلة بأن العرب تجترىء على تذكير كل مؤنّث مجازيّ غير متصل بمميّز التأنيث.

ويؤيّد ما نذهب اليه تطورُ اللهجات العامية الحديثة، وميلُهَا الدائمُ الى تذكير هذه الأسماء وأمثالها إذا كانت غير متصلة بمميّز التأنيث، وكأنها تجنح الى الأصل، أو الى ما ينبغي أن يكون.

وإتجاه اللغة العربية الى تذكير المؤنثات المجازية ظاهرة لغوية تشير

بوضوح الى التطور والارتقاء والتخلص من الفوضى والارتباك الناتجين من الخلط بين لهجات القبائل.

* * *

ونستطيع، أن نلخص كل ما تقدم ذكره، بما يلي: إنّ مميّز التأنيث «التاء» قد استعمل في اللغة العربية لتمييز المؤنّث من المذكر، دون النظر الى وزن الكلمة، أو معناها، أو اختصاصها بالأنثى دون الذكر، وأصبح بإمكاننا القول:

- كلّ مؤنّث حقيقيّ هو مؤنّث لغوي (مقعد).

- كلُّ كلمةٍ دخلها مُمَيِّزُ التأنيث هي مؤنَّثةٌ لغوياً

- يدخلُ مُمَيِّزُ التأنيث (التاء المربوطة) الصِّيَغَ التي قال النحاةُ واللغويون إنّ التاء لا تدخلها إذا كانت ممّا تختصّ به الأنثى دون الذكر.

- كلُّ كلمة لم يدخلها مميّزُ التأنيث هي مذكرة لغوياً، أمّا ما سمع فيه التأنيث فيحفظ ولا يقاس عليه.

نستطيع، بعد دراستنا هذه، إدخال مصطلح التذكير والتأنيث في الكومبيوتر أو الحاسوب، لتسهيل تعلمه، واستعماله استعمالاً سليماً وسريعاً في الكتابة، وفي الكلام، وفي الترجمة الآلية.

اللغة العربية واستمرار التحديات

جدلية العلاقة بين اللغة والفكر(١)

تقول نظريات علم اللغة، أو الألسنية، أو اللسانية، إنّ قدرة الإنسان على فهم كلّ جمل لغته، أو إذا شئت كلّ التراكيب اللغوية التي قد تنتجها آلية لغته، غير محدودة، كما أن قدرته على إنتاج جمل لغوية صحيحة توافق المنهج الخاص بكل لغة، غير محدودة.. لأن الإنسان يفكّر بالكلمات، أو بتعبير أ[illegible] التراكيب اللغوية.. فاللغة والفكر توأمان.. فلا فكر دون لغة.. ولا لغة دون فكر..

ولا يَظُنَّنَّ أحدٌ أن اللغة آلةٌ مطواعة.. أو وسيلة إتصال جماعية فقط كما ذهب ابن جني ومن اتبعه.. وكما ذهب أصحاب النظريات اللغوية مثل **فردينان دي سوسور** ومن سار على نهجه.

اللغة آلة مطواعة يستعملها الفصحاء والبلغاء بيسر وسهولة يترافقان، في معظم الأحيان، مع إبداعية مذهلة.. فيها السحر.. وفيها الخَلْقُ.. وفي الإنشاء.. فهي ما ذُكر.. ولا [illegible] في ذلك.. ولكنها ليست كلَّ ما ذكر، لأنها ناقصة إذا لم نضف إليها [illegible] إن اللغة، أيضاً، تتحكم بمتكلّميها، وتفرض عليهم أ[illegible] تفكير[illegible]. بحيث يجدون أنفسهم أسرى منهج معين في التفكير. [illegible]عون به ومن خلاله.. ولكنهم لا يستطيعون النفاذ منه... أَللّهمَّ إلا إذا تَخَلَّوا عن لغتهم... وهجروها الى لغة ثانية. ونستطيع من هذا التعريف فَهْمَ نصيحة أساتذة اللغات الأجنبية لطلابهم بالإمتناع عن التفكير باللغة العربية وقت تعلمهم اللغة الأجنبية أو تكلمهم بها.. كي لا يقعوا في عملية الترجمة. أي كي لا يترجموا أفكارهم، وهي بنات لغتهم، الى اللغة الأجنبية، فيتكلمون، حين يفعلون ذلك، «بلغة أجنبية» أخضعت للمنهج اللغوي العربي.. أو قل إن شئت يتكلمون اللغة الأجنبية بروح عربية. وهذا

---

(١) جريدة اللواء البيروتية، الخميس ٢٦ أيار ١٩٨٨، ص: ٦.

الكريم.. ناسين أو متناسين، أن الرحمن الذي خلق الإنسان.. وعلمه البيان.. جعل القرآن عربياً غير ذي عوج، عندما أنزله عل قلب الرسول الأمين ليكون من المنذرين لقوم يعقلون، ويعلمون أنه هدى من ربهم، وفيه شفاء لهم وللعالمين، كما يفهم من قوله تعالى في سور عدة، منها سورة النمل ١٦/١٠٣ وطه ١١٣/ ٢٠ والزمر ٣٩/٢٨ والشعراء ٢٦/١٩٥، وفصلت ٣/ ٤١، ويوسف ١٢/٢، والرعد ٣٧/ ٥٣ والشورى ٤٢/٧ والزخرف.. والأحقاف... الخ...

ولن أدخل، هنا، في المعاني التي تحتملها النصوص، لكني أظنّ أن من ضمنها: التعرف إلى الذات، والوثوق بالنفس، والإستقامة في التفكير، والفصاحة في القول، والتميز من الآخرين، والشفاء من عقد النقص.. الخ..

- فهل يعود العربُ والمسلمون الى القرآن الكريم مثابةً وهدى وشفاء؟

- ومن المسؤول عن إبتعاد مَن ابتعد منهم عن الصراط المستقيم؟ أهم الأهل أم المجتمع أم المدرسة أم الجامعة؟

الحقيقة... أن كلّ أولئك كان شهيداً... وكان مسؤولاً... بعضهم عن جهل.. وبعضهم عن قصد؟

الجاهلون هم الذين لا نستطيعُ محاسبتهم إلا بقدر.. أمّا المتعلمون منهم فيتحمّلون مسؤولية رهيبة.. لأن الله يخشاه من عباده العلماءُ.. ولأنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون..

أما من هم في سدة المسؤولية.. سواء أكانوا في المدارس والجامعات أم في الحكم والوزارات.. فعليهم يقع الذنب. وحبذا لو جعلوا تعليم الصغار قراءة القرآن وحفظه إجبارياً، ليكون على الأقل، من الناحية اللغوية، والفكرية والحضارية، ذخيرة وحصناً يلجأ إليهما الانسانُ كلّما تعرض له أعداؤه بسوء.. فإذا عمّمنا القرآن وحفظه.. وشجعنا الأطفال عليه.. نكون، وقد زودناه بمصل وقائي ضد أمراض التغرب.. وضعف الشخصية،

والإستلاب. لذلك أدعو الى تعديل البرامج الدراسية في كل البلاد العربية والإسلامية بحيث يجعل حفظ القرآن في المرحلة الإبتدائية، مادة أساسية لا يُسمح للتلميذ بتجاوز صفه الى صف أعلى إلا إذا حفظ القرآن. وإذا فعلنا ذلك نكون قد حفظنا شخصيتنا.. وتمسكنا بأصالتنا، وحفظنا ذواتنا.. وأنفسنا وأفكارنا.. ولغتنا من تعديات الآخرين.. هذه التعديات التي لن تنتهي..

* * *

وبعد...

اللغة إنتماء الإنسان الى نفسه أولاً، وإلى مجتمعه ثانياً.. لذلك نرى الدول المتقدمة تنفق والملايين الملايين من أجل حفظ لغاتها وتعليمها لأطفالها.. ونشرها في بقاع الأرض.. كي يكسبوا متعلمين جدداً.. أي «مواطنين» جدداً يتعاطون معهم.. ويلهجون بألسنتهم.. ويفكرون بأسلوبهم.. ويُعجبون بحضاراتهم فيقلِّدونها.. ويتباهون في ذلك.. وما قضية «القبعة» و «الطربوش» ببعيدة.

ألاَ يجدر بنا أن نعلّم أنفسنا أولاً، وأولادنا.. أولاً وثانياً.. اللغةَ العربية.. والآداب العربية.. والفكر العربي والحضارة العربية.. والمنهج العربي في النظر الى الكون والى المعارف.. ليحبَّ المتعلمُ اللغةَ وما تحمل، وأهلَها، فيجد ذاته، ويكتشفها عبر توحّده في أبناء جلدته ومعهم.. ليكونوا به ومعه خير أمة أخرجت للناس؟!

المرأة واشكالية الحرية في الوطن العربي: مسألة التأنيث والتذكير في الكلمات العربية(١)

هي نصفُ المجتمع . .

وهي الأمُّ . . والأخت . .

وهي الحبيبةُ . . . والزوجة . .

وهي «أنس» والرجل «أنس» فهما: «إنسان».

فهي وهو سواء في الإنسانية.

ومع ذلك فهي ليست هو في المجتمع . . ولا أقصد أن تكون المرأة رجلاً . . أو أن يكون الرجل امرأة . . بل أقصد أن المرأة في الوطن العربي لا تزال تحجبها عن المشاركة الفعالة في حفظ إنسانيتها، وفي بناء وطنها والدفاع عن قضايا أُمتها، أمورٌ عدّة، منها ما يعود إلى المرأة نفسها، ومنها ما يعود إلى الرجل . . ومنها ما يعود إلى القوى التي تريد تدمير مجتمعنا وتفتيته . . وذلك بشل نصفه؛ أي المرأة. وبجعل النصف الآخر؛ أي: الرجل عاجزاً لوحده عن القيام بمهمات البناء والتحرير والتوحيد . .

المرأة ليست رجلاً . . وليست كالرجل . . وما ينبغي لها ذلك، فهي الأنثى، السهلة الناعمة، المُنبتة . . وهي التي تحفظُ الجنسَ، والمجتمع . . وهي التي قد تقوم بما لا يستطيعُ الرجلُ فَعِلَه.

ولكن هذا الكلام لا يعني أني أميِّزُ نشاطها من نشاطه . . ولا يعني أيضاً، أنّني أخلط بين وظائفهما الطبيعية التي وجدا من أجلها . .

وظيفة المرأة الطبيعية، التي خلقها الله من أجلها، هي: الحمل، والإرضاع . . وتعّهد المولود بالتغذية، والتربية بالعلم وبالأخلاق . . وإذا

---

(١) جريدة اللواء البيروتية، الثلاثاء: ٢٨ حزيران ١٩٨٨، ص: ٦.

وجدت متسعاً من الوقت، خارج هذا الإطار انصرفت إلى الأعمال التي تستطيعُها كالتعليم والتمريض. . والتجارة. . والنجارة. . وحتى القتال إذا كان الوطن يحتاج إلى مُقاتلين. . لأن الحالات الطارئة تلغي كلَّ الوظائف. . وتجعل الجميعَ مقاتلين، جبهة واحدة. .

ـ فهل تتمتعُ المرأةُ بهذه الحرية؟

واضح، هنا، أني لا أعني بالحرية. . التفلّت من العلم، والأخلاق، والعِفّة. . كما لا أعني تحريرها من ثيابها وإنسانيتها.

حريةُ المرأة. . كحرية الرجل. . فالحرية واحدة لا تتجزأ. . ولا تَـتَـلَـوَّنُ. .

فإمّا أن يكون الإنسان ـ سواء أكان ذكراً أم أنثى ـ حراً وإمّا أن يكون عبداً مستعبداً؟

فهذه الحرية هي التي تميِّزُ الإنسان من غير الإنسان. . وهي التي تنتقل بالإنسان من حالة الغريزة إلى حالة العقل والمسؤولية.

وَإمَّا أن تُحْجَب المرأة بحجة حمايتها. فهذا ما نرى فيه إبعاداً لها من ساحة المجتمع للسيطرة عليها، وتسخيرها لمآرب الرجل ونزواته. . هذا الرجل الذي قد لا يكون حراً. . فتكون النتيجة أن يسيطر عبدٌ على عبدٍ، والمحصلة النّهائية لهكذا علاقة كارثة على الصعيد الشخصي. . والإجتماعي. . والوطني. لذلك فإننا لا نزال غير قادرين على تمزيق الشرانق التي وضعنا أنفسنا بها. . بعدما رسم لنا الاستعمارُ الحدودَ، ووضع بيننا السدود، وروَّضَنَا على تَقَبّل القيود.

ولا يظنّنَ أيُّ إنسان أننا نصدر في دعوانا عن فراغ. . إنما هو الفكرُ العربيُّ المتجسّدُ في اللغة العربية، يحمل إلينا في كل لحظة شواهد من أنماط تفكير أجدادنا. . وصوراً تنير طريقنا إذا عرفنا كيف نقرأ الفكر من خلال اللغة. . أوَ لَيْسَت اللغةُ والفكر صنوان؟ وهل يوجد فكر بدون لغة أو لغة بدون فكر؟! . . فماذا تقول اللغةُ التي نعبّرُ بها عن حاجاتنا العقلية والعاطفية

والمادية.. بعدما تكون قد فرضت، هي بدورها علينا، أنماط التفكير ومناهجه..؟

لقد حاول المستغربون والمستشرقون.. بل بعضهم أن ينسبوا إلى العربي ما ليس فيه.. وأنْ ينعتوا فكره ومنهجه في الحياة بما يخالف روحيته وخصائصه بغية تشويه حقيقته وصرفه عن المسار المبدع الذي خُصّ به.

فهذا «رايت» W.Wright يدّعي بأن الخيال السامي الخصيب قد أخضع، في نهاية الأمر، جميع الكلمات إلى أحد أمرين: إمّا التذكير وإمّا التأنيث. وأنّه شَخّصَ الأشياء، وجعل منها أناساً: ثم تصوّر في بعضها تأنيثاً وفي بعضها الآخر تذكيراً[(١)]

وهذا «فانسنك» Wensinck يدّعي بأن اللغات السامية حين خلعت على بعض الأسماء فكرة التأنيث قد تأثرت في هذا بعوامل دينية، وبأخرى مرجعها التقاليد والمعتقدات العامة، التي جعلت الساميين، في قديم الزمان، يرون في المرأة غموضاً وسحراً، وينسبون لها من القوى الخارقة ما لم يخطر ببال من جاؤوا بعدهم، ثم ضمّوا إلى المرأة كلّ ظواهر الطبيعة التي خفي عليهم تفسيرُهَا، ودقّ على أذهانهم فَهْمُها، بجامع الغموض والسحر.. وأدت تلك المعتقداتُ الخرافية إلى اعتبار بعض الأسماء مؤنّثة؛ لأنها تعبّر عن ظواهر غامضة ليس من السهل عليهم تفسيرها، وركزت لهذا في أذهانهم، ما أحاطوا به المرأة من سحر وخرافة.[(٢)]

ويرجع الأب هنري فليش H.Fleisch ظاهرة التذكير والتأنيث، في العربية، إلى فكرة «الطبقات» و «الأقل قيمة»، و «الأدنى»[(٣)]

---

(١) Lecture of the comparative grammar of the semitic languages, cambrudge, 1890, P.P, 131.
A. j. wensinck. some Aspects of. gender in the Semetic languages

(٢) فليش (هنري)، **العربية الفصحى**: نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين، بيروت: دار المشرق، الطبعة الثانية، ص: ٧٠.

(٣) فندريس، **اللغة**، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مصر: مكتبة =

والواقع أنّ ادعاءات المستشرقين ومن اتبعهم من المستغربين، والتي تتحدّث عن تأملات لاهوتية أو خرافية، وعن فكر بدائي يجسّد كلّ شيء. . تنطلق ممّا هو عليه الحال في اللغات الغربية. . أي أنهم يفسّرون فكرنا ولغتنا بمقاييس غربية غريبة عن خصائصنا ومميزاتنا. .

فالجنس، عند الغربيين، يقوم على بواعث غيبية ودينية، احتفظ بها التقليد حتى بعد أن عجز من يستعملونه عن فهم علته. . كما يقول أحد كبار لغوييهم وهو ڤندريس Vendryès أرأيت كيف يُسْقط الغربيون تصوراتهم على واقعنا خدمةً لأغراضهم. . السياسية. . ؟!

إنّ فهم معنى التذكير والتأنيث في اللغة العربية لا يتمّ، بشكل علمي، إلا بالعودة إلى اللغة العربية. . لأننا، بذلك نعود إلى منظومة العربي اللغوية، المؤثرة في طريقة فهمه للعالم، وفي كيفية مفصلته له، وتالياً، في طريقة تفكيره. .

التذكير، في اللغة العربية، يفيد القوة والشجاعة، والأنفة؛ والإباء، بينما يفيد التأنيث السهولة واللين، والإنبات. . فمعنى التأنيث: اللين.

بمثل هذا الفهم نستطيع أن نقول إنَّ العربي أطلق الألفاظ المذكرة على كل ذي قوة وشجاعة وإقدام. . بينما أطلق على الأنثى ما يعتقده سهلاً، وليناً، وخصباً؛ لأن الأنثى إذا لم تكن كذلك فكيف يتسنى لها أن تقوم بوظيفتها الطبيعة؛ أي كيف يتسنى لها أن تخصب وتنبت. !؟

فتأنيث العربي بعض الألفاظ، حسب هذا الفهم، بعيدٌ كل البعد عن القوى الغيبية والسحر، والغموض والخرافة، والدونية. بل هو وضعٌ الأمور في نصابها. . وإلاّ فكيف توصل إلى تشبيه الأرض المنبتة بالمرأة. . فسماها «الأنيث» إذا لم تكن منهجية الإخصاب والإنبات، والتطور هي التي حكمت تفكيره منذ القدم؟.

= الانجلو المصرية، (١٩٥٠ م)، ص: ١٣٢ ـ ١٣٣)

ألاَ نستطيع ربط «مميّزات» التأنيث أو علاماته أو «لواحقه» بالزيادات التي كانت المرأة تحققها في المجتمع عن طريق الإخصاب والتكاثر؟.

ألاَ تشبه هذا اللواحق أولادَ المرأة يلحقون بها أينما ذهبت، وكيفما اتجهت؟

أَلَمْ تحكم المرأةُ المجتمعَ ـ كما يقول علماء الإجتماع ـ في فترة الأمومة زمناً طويلاً جداً، لأنها كانت تتحكم باللواحق والأصول معاً؟

أليس من المعقول أن إضافة (التاء) أو «لواحق» التأنيث إلى الألفاظ الخاصة بالإناث نوع من تعظيمهنَّ وتبجيلهنَّ، والخوف منهنّ، والتوق إليهنَّ؟

* * *

فلا يُحْزِنكِ، أيّتُها العربيةُ، ما يَدَّعِيه أعداء العرب.. ولا يَغُرَّنَّكِ ما يقدمونه من إغراءات هي أقرب إلى التفاهات.. وذلك بغية انتزاعك من المقام الذي تحتلينه، في الفكر العربي.. وفي الضمير العربيّ.. وفي الشعور العربي..

نريدك، أيّتُها الحرّةُ، على الرغم من أنف بعض الرجال الجاهلين، كما كُنْتِ ـ يومَ كُنّا ـ حرةً.. كحرارة النار المطهّرة.. ونريدكِ مصنعاً للإنسان.. ونريدكِ أن تكوني في معركتنا المصيرية والحضارية.. أختَ الرجل.. نريدُكِ.. رَجُلَةً بجانب رجل...

مقالات في اللغة

الفهرس

١ ـ أضواء على الأبحاث الصوتية العربيّة .... ٧ ـ ١٢
٢ ـ اللغة: صعوبة أم استغراب؟ .... ١٣ ـ ١٥
٣ ـ اللغة العربية لكل زمان .... ١٦ ـ ١٨
٤ ـ مِمّن تؤخذ لغة القواعد؟ ولماذا؟ .... ١٩ ـ ٢٢
٥ ـ مستوى نصوص القواعد .... ٢٣ ـ ٢٦
٦ ـ الدعوات إلى العامية: خلفيات وأهداف .... ٢٧ ـ ٢٩
٧ ـ الفصحى لغة التخاطب اليومي .... ٣٠ ـ ٣٢
٨ ـ التكلم بالفصحى: أصل وتواصل .... ٣٣ ـ ٣٥
٩ ـ التكلم بالفصحى وركوب الدراجة الهوائية .... ٣٦ ـ ٣٨
١٠ ـ الإعراب والسليقة .... ٣٩ ـ ٤٢
١١ ـ الفصحى لغة العلوم (١) .... ٤٣ ـ ٤٥
١٢ ـ الفصحى لغة العلوم (٢) .... ٤٦ ـ ٤٨
١٣ ـ الفصحى لغة العلوم (٣) .... ٤٩ ـ ٥١
١٤ ـ الفصحى لغة العلوم (٤) .... ٥٢ ـ ٥٤
١٥ ـ الفصحى والحداثة (١) .... ٥٥ ـ ٥٧
١٦ ـ الفصحى والحداثة (٢) .... ٥٨ ـ ٦٠
١٧ ـ الفصحى والحداثة (٣) .... ٦١ ـ ٦٣
١٨ ـ الفصحى والحداثة (٤) .... ٦٤ ـ ٦٦
١٩ ـ الفصحى والحداثة (٥) .... ٦٧ ـ ٦٩
٢٠ ـ الفصحى والحداثة (٦) .... ٧٠ ـ ٧٢
٢١ ـ الفصحى والحداثة (٧) .... ٧٣ ـ ٧٥

٢٢ ـ تمييز الصواب من الخطأ .... ٧٦ ـ ٧٨
٢٣ ـ وجوب كسر همزة «إنَّ» (١) .... ٧٩ ـ ٨١
٢٤ ـ وجوب كسر همزة «إنَّ» (٢) .... ٨٢ ـ ٨٤
٢٥ ـ جواز كسر همزة «إنَّ» (١) .... ٨٥ ـ ٨٧
٢٦ ـ جواز كسر همزة «إنَّ» (٢) .... ٨٨ ـ ٩١
٢٨ ـ فتح همزة «أنَّ» وجوباً (١) .... ٩٢ ـ ٩٦
٢٩ ـ فتح همزة «أنَّ» وجوباً (٢) .... ٩٧ ـ ٩٩
٣٠ ـ كتب اللغة والكلام على الأخطاء .... ١٠٠ ـ ١٠٢
٣١ ـ على الرّغم من .... ١٠٣ ـ ١٠٥
٣٢ ـ ولا سيما .... ١٠٦ ـ ١٠٨
٣٣ ـ الواقع المُعاش والمعيوش والمعيش .... ١٠٩ ـ ١١٢
٣٤ ـ ثَمَّ وَثَمَّةَ وثمَّتْ .... ١١٣ ـ ١١٥
٣٥ ـ سواءٌ عليَّ أدرست أم أفهمت .... ١١٦ ـ ١١٨
٣٦ ـ يا للعرب... ويا للمسلمين .... ١١٩ ـ ١٢٢
٣٧ ـ كفءٌ وأكفاءٌ .... ١٢٣ ـ ١٢٢
٣٨ ـ فانظر كيف كان عاقبة المنذرين .... ١٢٥ ـ ١٢٨
٣٩ ـ أللهم حوالينا لا علينا .... ١٢٨ ـ ١٣٠
٤٠ ـ اللغة العربية وحركة العصر .... ١٣١ ـ ١٣٩
٤١ ـ اللسان العربي والوحدة الإسلامية .... ١٣٥ ـ ١٣٩
٤٢ ـ محمد علي شمس الدين: إفتح الباب قليلاً يا ولد .... ١٤٠ ـ ١٤٣
٤٣ ـ اللغة العربية السليمة في المدارس الرسمية: التعميم الذي تحتاجه لإنقاذ ما تبقى .... ١٤٤ ـ ١٤٦
٤٤ ـ التذكير والتأنيث: قضية العرب فوق التأنيث .... ١٤٧ ـ ١٥٦
٤٥ ـ اللغة العربية واستمرار التحديات: جدلية العلاقة بين اللغة والعصر .... ١٥٧ ـ ١٦١
٤٦ ـ المرأة وإشكالية الحرية في الوطن العربي: التأنيث والتذكير في الكلمات العربية ١٦٢

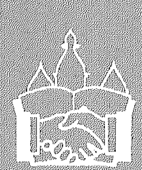
مقالات ونقاشات في اللغة

وردت أخطاءٌ مطبعية عدة على الرغم من إرادتنا... وهذا ثَبَتٌ بها.

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	٢٠	بخسٍ	بخسَ
٥	٢٧	لإنها	لأنّها
١١	١٩	الإساهامات	الإسهامات
١٤	٢٠ ـ ٢١	فلا مجالٍ	فلا مجالَ
١٨	٣	نزال	تزالُ
٢٠	٤	اسمتع	استمع
٣٠	١٤	تخاطي	تخاطب
٣٣	٢	كلَّ	كلِّ
٣٩	١٣	أعراب	إعرابٌ
٣٩	١٨	الإعرابَ الحدسيَّ	الإعرابِ الحدسيِّ
٤٥	٦	الأَمّ	الأُمّ
٥٠	٧	أرِيْدُ	أُرِيْدُ
٥٨	٢٠	المشتهي	المُشْتَهى
٦٧	١١	كما أظن قال الياس؟	كما أظن؟ قال الياس.
٦٨	٦ ـ ٧	الباطنية الى التراكيب	الباطنية الى تراكيب
٦٩	١٠	إذاً	إذا
٧٠	٨	التشوسكي	ألتشومسكي
٧١	١٥	دون تحرج	دُون أن تحرج
٧٦	١٨	حمزةٌ	حمزةَ
٨٤	٨	القولُ	القولَ
٨٧	١٣	فتح كسرة	فتح همزة
٩٢	السطر الأخير	تاسعاً تقع	تاسعاً: أن تقع
٩٣	٨	لا بَدّ	لا بُدَّ
٩٤	٨	تشكلل	تشكّل

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩٥	١٦	ومعمولها	ومعموليها
٩٦	١٣	مع معمولها	مع معموليها
٩٧	السطر الأخير	أي أتقع	أي أن تقع
١٠٥	٦	سيان	سيّان
١١٠	١٧	القواعد	القواعد من
١١٦	٧	يكونان	تكونان
١٢٠	١٤	لغَتُهُ	لُغَتَهُ
١٢١	٦	يستحيوَن	يَسْتَحْيُوْنَ
١٢٢	١٧	فالكفيء	فالكفْءُ
١٢٥	١٧	مثّنى	مَثْنَى
١٢٨	هامش (١)	مجلة البيروتية	مجلة البلاد البيروتية
١٢٨	٧	اسوةً	أسوةٌ
١٣٣	٢	بضائعضهُم	بضائعَهُمْ
١٣٤	السطر الأخير	ابنعاث	انبعاث
١٣٧	١٠	بَلَسان	بِلِسان
١٣٧	١١	رسولةَ	رَسُوْلَهُ
١٣٧	١٥	دونِهِ	دُوْنَهُ
١٤٢	٥	تمنّى	تَمَنَّ
١٤٦	٢١	أو	أم
١٤٧	٨	تِتوقف ت	تتوقف تَرْقِيَتُهُ
١٥٠	٨	المجتمعُ	المجتمعَ
١٥٠	٢١	المميز	المُمَيِّز
١٥٠	السطر الأخير	الوحدة	الواحدة
١٥٣	١٨	الوحدة	الواحدة
١٥٥	٤	صيغةَ	صيغةِ
١٥٨	١١	وفي	وفيها
١٦١	السطر الأخير	وقد	قد





دار الصداقة العربية

بيروت لبنان هاتف: ٨٣٦٩٠٤ ص ب ٧١٧١ / ١١٣